بحر الأمثال

بسم الله الرحمن الرحيم

بحر الأمثال

Mesel Denizi

محمد أكار

Mehmet AKAR

دَارُ المَكْتَبِيّ

الطبعة الأولى
2017 - 1438

بحر الأمثال
Mesel Denizi

محمد أكار
Mohmet AKAR

ترجمة: أحلام العلي

مراجعة وتحرير: مركز التعريب والبرمجة

بإشراف الدكتور غياث المكتبي

قامت دار المكتبي – براعم المكتبي بترجمة هذا الكتاب الصادر
عن دار ALTIN BURC

تمت ترجمة هذا الكتاب
بمساعدة صندوق معرض منحة الشارقة الدولي للكتاب للترجمة

جميع الحقوق محفوظة

دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف ،00963112248433 فاكس ، 00963112248432 ص.ب ، 31426
الشارقة هاتف ،0097165512262 فاكس ، 0097165512264 ص.ب ، 3309
Email almaktabi@gmail com
www.almaktabi com

المقدمة

تمنحُ المعاني للكلمات شكلَهَا وقالبَهَا النهائيَّ؛ العاطفة، الرِّقَّة، النور.. وعادةً ما تكون العاطفة هي الغالبة. والأمور المعنوية في العادةِ لا تسَعُهَا القوالبُ الماديَّة الجامدة.

وفي كلِّ الأوقات يعاني الإنسانُ من عدم قدرةِ الكلماتِ على التعبيرِ عمَّا يجولُ في خاطره... عن إحساسه.. عن مراده.. وهذا شيءٌ طبيعي؛ لأنَّ لكلِّ لغةٍ مقدرتها المحدودة.

وأحياناً يكون الذي نقوله شيءٌ.. والذي كنَّا نقصده شيءٌ آخر!

قال السيد محمد عاكف يوماً: «أبكي.. ولكنني لا أستطيعُ أنْ أجعلَ النَّاسَ يبكون.. أشعر.. ولكنني

لا أستطيعُ أنْ أُعبِّرَ عمَّا أريده.. ليتَ لقلبي لساناً.. وكم يضايقني عجزي هذا..».

أحياناً يكاد الجنون يصيبُ السيد نجيب فاضل فيقول: «لو أستطيعُ أنْ أمسكَ هذه الكلمات بيدي لخنقْتُها!».

يحاول البعض أنْ يجعلَ الكلماتِ ترتدي معانيه.. ولكنَّ البعضَ الآخرَ يُفَضِّلُ الكلماتِ على قياسِ المعاني وكأنَّها القماشُ يُفَصَّلُ على مقاسِ الجسد.

إذا كانت الكلمات كالألبسة، فعندها من الممكن أنْ تغيِّرَ المعنى أو لا تكادُ تتَّسعُ له، أما عندما تكون كالجلد.. فالمعنى يكون حرّاً بداخله، ويستطيع أنْ يتَّسعَ لكلِّ أنواعِ المعاني.

وهكذا كان علماؤنا المتربِّعون على القمة؛ أمثال محمد عاكف، نجيب فاضل، يونس... كان هؤلاء بارعين في استعمالِ الكلمة.. في تطْويعِ الكلمةِ بينَ أيديهم.

كان هؤلاء عندما يتحدَّثون وينقلونَ أفكارهم للآخرين.. يشعر السامعُ وكأنَّ الكلماتِ والمعاني تنطلق

من أفواههم لتسبَحَ في الفضاء الواسعِ ثم تعودُ لتلتقي بمستمِعِيهِمْ ولتدخلَ قلوبَهم دون استئذان.

كأنَّ هذه الكلمات كانت تُلْقَى من أفواهِ أمثالِ هؤلاء العلماء لتفتحَ أشرعةَ القلب والروح، ويبقى في القلبِ ذلك الأثرُ الأبديُّ.. وذلك التَّأثُّرُ الخالد الذي لا يتغير.

للقصص وللحكايات مكانةٌ كبيرةٌ في تراثنا وحضارتِنَا.. تؤخذُ العبرةُ والحكمةُ منها دون تفاصيلَ كثيرةٍ أو أحداثٍ كبيرةٍ.. بل هي حادثةٌ قصيرةٌ مختصرة لأنَّ الهدف ليس الاستغراق في التفاصيل، وإنَّما هو الفائدة والعبرة والحكمة.. وهذا يمكن الحصولُ عليه من الاختصارِ لا التطويلِ.

ستجد في هذا الكتاب قصصاً وحكايا مختلفة.. ومن مصادرَ متنوعةٍ.. ومن كلٍّ منها تستطيع أن تأخذَ ولو عبرةً صغيرة.

هل هي أحداثٌ حقيقية؟ في الحقيقة لا ندري.

تعالَوا لنقطفَ من هذه القصص والحكايا العِبَرَ والمواعظَ، كما تُقطَفُ الثمارُ والفاكهةُ من الشجر.. معاً

لنفتحَ أشرعةَ القلب. .ولنلتقي على صفحاتِ. . «بحر الأمثال».

محمد أكار

الحبيب بابا

الحبيب بابا اسمٌ لشخصٍ من شرقِ الأناضول في عصرِ مراد الرابع، جاء إلى إستانبول من أجل الذهاب للحج بالباخرة، ولكنْ للأسف فاتتْهُ الرحلة.

ـ لعلَّه خير.

قالها من قلبه، ثمَّ نظرَ الى هيئتِهِ. . الترابُ يعلو ثيابَه بسبب طولِ الرحلة، وظَهرُهُ بدأ يحكُّهُ. . ففكَّرَ بالذهاب إلى الحمَّام ليزيلَ عنه آثارَ الرِّحلة قبل العودة إلى بلدِهِ.

ذهب إلى الحمَّام ولكنَّ المشرفَ على الحمَّام لم يسمحْ له بالدخول. واعتذر منه موضحاً أنَّ وزيرَ السلطان داخل الحمَّام.

ـ أكَّدَ الوزيرُ عليَّ أنْ لا يدخلَ الحمَّامَ أحدٌ اليومَ. . أرجوك يا سيدي لا تحرجْنِي. . لا أستطيعُ التفريطَ بحياتي.

ـ إنْ سمحتَ لي.. سأدخل دون أنْ أريهمْ نفسي، ودون أنْ أُصْدِرَ صوتاً.

لم يستطعْ أنْ يصمد أمام توسُّلات الحبيب بابا، فأدخلَه الى زاويةٍ وأوصاه أنْ لايُصدِرَ أيَّ صوت.

بعد قليل.. جاءَ جلالةُ السلطان مراد الرابع إلى الحمَّام متنكراً بملابسَ عاديَّة، فاعتذرَ منه المشرف وشرح له أنَّ السلطانَ سيأتي اليوم إلى الحمَّام، ولا يستطيع استقبالَ أحد.. وبعد جدالٍ لم يستمرَّ طويلاً.. أدخلَه إلى زاويةٍ بجانبِ الحبيب بابا، وأوصاه أيضاً أنْ لا يصدرَ صوتاً، فقبلَ السلطان ودخل الحمَّام.

بينما كان الاثنان يستحمَّان ـ السلطان والحبيب ـ قام الحبيب بفرْكِ ظهرِ السلطان، وبالطبع إذا فعل الإنسانُ معروفاً فسيطلبُ مقابلاً له، لذلك بعد انتهائِهِ طلبَ من السلطان أيضاً أنْ يفرِكَ ظهرَه.

وبينما هما كذلك قال الحبيب:

ـ يعني إذا منَّ الله عليك وجعلكَ وزيراً.. هل يعني

ذلك أنْ تمنعَ عن الناسِ المياه التي وهبَهَا الله للجميع بدون تمييزٍ بينهم؟! آه يا ولدي.

ثمَّ تابع قائلاً:

ـ لا أفهم لماذا يتصرَّف هذا الوزير على هذا الشكل.. وماذا يعني أنْ تكونَ وزيراً للسلطان.. أنتَ أيضاً ترتجفُ عند مثولك أمامَ سلطانك.. وتضطر لكسبِ رضاه.

الحبيب بابا رجلٌ طيبُ القلب، لا يوجد في قلبِهِ حقدٌ أو ضغينةٌ على أحد، وقد فهم جيداً **أنَّ الله جاء بنا إلى هذه الدنيا لنعبده ونكون في خدمة بعضنا.**

والسلطان مراد الرابع إنسانٌ جيدٌ ومحترم جداً، يثق بنفسه كثيراً، **وعلى الرغم من أنَّ الله وهبه هذا الملك، لم تتسللْ إلى نفسِهِ أدنى ذرة من الغرور.**

معنى اللّه

أحبَّ شابٌّ فقيرٌ ابنةَ السلطان. . ذهب حاملاً حبَّه اليائس إلى رجلٍ صالحٍ مشهورٍ في بلده طالباً مساعدته. . وبعد أنْ سمعَ الرجلُ الصالحُ حكايةَ الشاب قال له:

ـ اذهب واجلس في أوَّلِ الطريق الذي في مدخل البلدة، ومهما قال الناس لك أو سألوك، ليكن جوابك الوحيد: «لأجل الله».

وفعل الشابُّ مثلما قال له الرجل الصالح، ومرت أيامٌ وأسابيعُ وأشهرٌ وهو جالسٌ في أوَّل الطريقِ الواقعِ في مدخل البلدة وهو على هذه الحال، لا يتفوَّه بأي كلمةٍ إلا: «لأجل الله».

كان الرجل الصالح يحضر كلَّ يومٍ للشابِّ ما يحتاجه من طعامٍ وشراب، وشيئاً فشيئاً ذاع صِيتُ الشاب في البلدة لتكراره فقط كلمة: «الله»، وتناهى إلى سمْعِ

السلطان خبر الشاب، فطلب من حاجبه أنْ يأتيَه بخبرِه، وعندما سألوا الرجل الصالح عنه أجاب بأنَّ أمرَ هذا الشاب عظيم، وعندما سمع السلطان هذا الكلام قرَّرَ أنْ يأتيَ لزيارته.

سأل السلطان الشاب:

ـ من أنت؟ من أين أتيت؟ ما هي مشكلتك؟ ماذا تريد؟

ـ الله.. الله.

ولم يزد الشاب كلمةً أخرى على كلِّ تساؤلات السلطان.

وفي المساء جاء الرجل الصالح إلى حيث يجلس الشاب قائلاً له:

ـ عندما يعود السلطان ويسألك عن مرادِكَ.. ستبقى هادئاً إلى أنْ يقولَ لك: «سأعطيك ابنتي».

وفي أحد الأيام عاد السلطان إلى الشاب.. ومازال الشابُّ على نفسِ حالِهِ القديم.. يردِّدُ: «الله.. الله».. اقترب منه السلطان وسأله:

ـ قل لي ماذا تريد؟ أتريد أنْ أزوِّجك ابنتي؟

رفض الشاب عرْضَ السلطان وسط دهشةِ الرجل الصالح قائلاً:

ـ كلا.. في الحقيقة لم أعدْ أرغبُ بها.. عندما كنت أقول: «لأجل الله»، كنت أقصد بها غيره، ومع ذلك جعل السلطان يأتي عند قدمَيْ شابٍّ مسكينٍ مثلي ليعرضَ عليه الزواج من ابنته.. يا ترى لو أنني قلتها لأجله.. اللهُ وحدَهُ يعلم ماذا كان سيحصل.

منذ هذه اللحظة.. لم أعدْ أريد غيرَ الله.

مَنْ فقدَ الله ماذا وجد، ومَنْ وجدَ الله ماذا فقد.

عندها إذا أردتَ الزنزانة أن تكون قصراً.. تكون، وإذا أردت القصرَ أنْ يكون زنزانةً.. يكون.

في الحقيقة.. الإنسان كائنٌ فانٍ، ولكنني لا أريد أنْ أكونَ فانياً، أريد أنْ يكون لي أثرٌ في هذه الدنيا.

الإنسان كائنٌ عاجز، ولكنني لا أريد أنْ أكونَ عاجزاً، أريد أنْ أصنعَ شيئاً في هذه الدنيا، أريد أنْ أسلم روحي للرحمن، ولا أريد أن أسلِّمَها لغيره.

الإيمان ولو لمرة واحدة

سأل نجيب فاضل عابدين دينو:

ـ لماذا لا تؤمن؟

عابدين دينو رجلٌ أضاع نفسه، ولكنْ له قدرةٌ على أنْ يجذبَ الآخرين للتعليم، لذلك كان جوابه:

ـ لأنني أخاف.. أنا على يقينٍ إنْ آمنتُ مرةً واحدةً فلن أرفعَ رأسي من السجدة لله تعالى!

يعني إنْ كنتمْ تؤمنون بإلهٍ كهذا، بهذه العظمة.. بهذه الرحمة.. وإذا كان حقاً يوجد إلهٌ بهذه الصفات التي تتكلمون عنها، ماذا سأفعل إنْ لم أطعْهُ أو إنْ فعلتُ ذنباً في حضرته؟! **لنْ أستطيعَ رفْعَ رأسي من على الأرض حياءً وخجلاً، ولن أجدَ أصلاً في نفسي شجاعةً لكي أرفعَ رأسي ثانية.**

الأضعف

كان إبراهيم اتْهم في رحلةٍ بحريَّةٍ بقصد السياحة، وكان على متنِ الباخرة شخصٌ وظيفتُهُ تسليةُ الركاب وإضحاكهم، يحاول سرقةَ أشياء منهم.

ذات مرة رأى إبراهيم اتهم، فقال للركاب الذين يشاهدونه:

ـ انتظروا.. سأحاول أنْ أنال من هذا الرجل الطيب.

وبدأ بالقيام بحركاتٍ يحاول أن يسخر بها من إبراهيم، ويتفنَّنُ في هذه الحركات، وفي هذه الأثناء حاول إبراهيم أنْ يساعد الرجل في الوصول إلى هدفه، فرمى بنفسه على الأرض، دهش الرجل كثيراً وقال:

ـ يا لكَ من رجلٍ غريبِ الأطوار! أحاول أنْ أضربكَ أو أرميَكَ أرضاً، فأجدك تمكِّنني من نفسك بسهولة!

قال إبراهيم:

ـ أريد أنْ أسألكَ شيئاً، إنْ سمحت بذلك.

ـ اسأل.

ـ انظر حولك. .يوجد الكثير من الأشخاص على ظهرِ السفينة، ألم تجدْ أحداً غيري لأعمالك هذه؟! أنْ تضربَنِي. . أنْ توقعَنِي على الأرض. .أنْ تُضحِكَ الناس عليَّ. .هل كان من اللائق أنْ تفعلَ هذا معي أنا بالذات؟

ـ لقد اخترتك أنتَ عن قصد.

رفع إبراهيم رأسه وقال داعياً:

ـ الحمد لك يا رب!

ثم استدارَ إلى الرجل وتابع قائلاً:

ـ أشكرك أنت أيضاً. . مثلما أضحكتَ هؤلاء الناس في هذه الدنيا؛ ادع الله أنْ يُضحِكَكَ في الآخرة وأنْ يُسعِدَ قلبك.

يمنح الإنسانُ في العادة الذين من حوله ما يحتاجه.

في الحقيقة. .أكثرُ الناسِ عطاءً هم عادةً أكثرُ الناس ضعفاً، وأكثرهم حاجةً.

كان إبراهيم يقصد بدعائِهِ للرجل:

ـ يا رب؛ أنتَ رأيتَ كيف أنَّ هذا الرجل ضربني ورماني لحاجتِهِ لذلك، ولكنَّكَ تعلم أنَّه في الحقيقة مسكينٌ ومحتاجٌ لك.. **يا رب؛ لا تحرم أضعفَ الناسِ وأشدَّهَم حاجةً إليك وأكثرَهم فقراً من رحمتك.**

حجر الصبر

حجر الصبر اسمٌ لمسرحٍ أنشأه السيد نجيب فاضل، وحكايةُ هذا المسرح أنَّه كان هنالك فتاةٌ في مقتبل العمر، وبينما هي نائمةٌ رأتْ في منامها طيراً يطير قربَ نافذةِ القصر يقول لها:

ـ إنْ أنتِ انتظرتِ عند رأسِ ابنِ السلطان أربعينَ يوماً وأربعينَ ليلةً، سيستيقظُ وسيتزوجك.

استيقظتْ من نومها.. وانتظرت أربعين يوماً وأربعين ليلةً عند رأسِ ابنِ السلطان منتظرةً أنْ يستفيقَ ويعودَ إلى وعيه.

وفي الليلة الأخيرة اشترتْ من قرصانٍ جاريةً بحفنةٍ من المجوهرات لِتُحَرِّرَها، ولكنَّ الجاريةَ كانت كاذبةً وخائنة، وفي الحقيقة باعها القرصان ليتخلَّصَ منها.

حكت الفتاة للجارية قصَّتَها:

ـ لأربعينَ ليلةٍ خلتْ وأنا في هذا القصر، لم أستطع النوم وأنا أنتظرُ أنْ يستفيقَ ابنُ السلطان، ولم أخرج من هذه الغرفة. . لو تمكثين قليلاً عند رأسه لأتجوَّلَ قليلاً في هذا القصر.

بعد خروج الفتاة بمدة قصيرةٍ، استفاقَ ابنُ السلطان، وشُفِيَ من مرضه! قالت له الجارية:

ـ كنت ستموت من أجلِ أربعين يوماً وأربعين ليلة.

وشرحتْ له أنَّه سيتزوجُ الفتاةَ التي ستنتظرُ عنده أربعين ليلةً وأربعين يوماً.

قال ابن السلطان:

ـ هيه أيتها الفتاة. . هل أنتِ تلك الفتاة التي انتظرت الأربعين يوماً وليلةً؟

أجابتْهُ الجارية:

ـ نعم! ومن أجلك انتظرتُ.

وفي هذه الأثناء دخلت الفتاة، فعرَّفَتْهَا للملك على أنَّها جاريتُهَا.

أقام الملك عرساً ضخماً وزوَّجَ ابنَهُ بتلك الجارية. .

وكانت الجاريةُ تحاول أنْ توقعَ الفتاة في مصيبةٍ لتتخلَّصَ منها، وكانت تحاول أنْ تختلقَ الأسبابَ لتعاقبَهَا كما حاولتْ كثيراً تزويجَهَا.

ذات يومٍ قرَّرَ السلطان أنْ يذهبَ إلى الحج.. وسألَ الفتاةَ عن الهدية التي تحبُّ أنْ يجلبَها لها من هناك؛ فقالت له:

ـ لا أريدُ شيئاً إلا حجرَ الصبر!

وعند عودته كان قد أحضرَ لها ما طلبتْهُ.

ذات يوم كانت الفتاة تحدِّثُ الحجرَ عن قصتِهَا، وعند نهاية حديثها قالت:

ـ لو كنتَ مكاني.. هل كنتَ لتتحملَ هذا الذي أنا فيه؟!

عندها انتفخَ الحجر.. انتفخَ أكثر.. ثم انفجر!

في هذه الأثناء صادفَ مرور السلطان من أمامِ الباب فسمعَ قصَّةَ الفتاة، فذهب إلى الجارية والشَّرَرُ يتطايرُ من عينيه وقال لها:

ـ لا أريد أنْ تتفوَّهِي بكلمةٍ واحدة، لم يعدْ لي قدرةٌ على تحمُّلِكِ أكثر من ذلك.

استمرت الجاريةُ في وقاحتِهَا وطلبتْ أنْ يكونَ معها أربعينَ بغلاً محمَّلاً بالهدايا والحرير والمجوهرات عند خروجها من القصر متوجِّهَةً إلى أهلها.

ولكنَّ الملك أمرَ أنْ تُربَطَ بذيلِ أربعين بغلاً يسحبونها على الأرضِ حتى الموت، وهنا طلبت الفتاةُ أنْ تقولَ رأيَهَا:

ـ لي طلبٌ يا مولاي!

ـ طلبُكِ هو طلبِي.. تفضَّلِي قولي.

ـ لا تقتلْهَا يا مولاي.. وأعطِهَا ما تريدُ ولْترحل من هنا.. أربعينَ بغلاً محمَّلةً بما غلا ثمنُهُ وخفَّ حِمْلُهُ.

وفي كلِّ مكانٍ يذهبون إليه، يقول الناس: هكذا يكون السلطان.

رحمةُ الله لا حدودَ لها، وهو لا يعاملنا بذنوبنا؛ بلْ يعاملنا بحسب حسنِ ظنِّنا بجلالتِهِ، ويوزِّع رحمتَهُ وفضلَهُ على كلِّ عبادِهِ بالعدل.. ولذلك يجب أنْ يعاملَ السلطانُ الناسَ ليس على حسبِ أخطائهم، وإنَّما على حسبِ رحمتِهِ وحبِّهِ لرعيَّتِهِ.

هدية النبي يوسف عليه السلام

ذات يوم جاء إلى النَّبيِّ يوسف عليه السلام صديقٌ له زائراً. . جلسا سوياً وتبادَلا الأحاديث الودية، تحدَّثَا عن ذكرياتِ الماضي، وعن مشاكلِ هذه الأيام، وعن همومِهَا.

كانا صديقين مقرَّبين من بعضِهما. . وفجأةً قال النبي يوسف عليه السلام لصديقه:

ـ هاتِ لنرَ ماذا جلبتَ لنا هديةً يا صديقي العزيز؟ أنت تعرف أنَّ الصديق لا يزور صديقَه دون أنْ تكونَ معه هدية.

بدأ الصديق بالاعتذار، كان شخصاً ظريفاً جداً، وكان النبي يوسف عليه السلام يعرف ذلك.

ـ فكَّرتُ أنْ أجلبَ هديةً لك، ولكنني فكَّرتُ مليّاً وبحثتُ طويلاً، فلمْ أجدْ ما يليق بحضرتك.

قلتُ لنفسي سأجلبُ مجوهراتٍ وذهباً وفضة، ولكن رجعت إلى نفسي وقلت: «ما هي إلا معادنُ وأحجار».

أردتُ أنْ أجلبَ لك عطوراً وبخوراً من الهند، ولكنني لم أجدها تليقُ بك.

فكَّرت وفكَّرت.. ثم قرَّرتُ أنْ أجلبَ لك هديةً تليق بجلالِكَ وجمالِكَ، فأحضرتُ لك معي هذه المرآة؛ إذا نظرتَ فيها رأيتَ بهاءَكَ مثلَ نورِ الشمسِ يضيءُ المكان، وستشعر بالسعادة، وستتذكَّرُنِي كلَّما نظرتَ فيها.

سُعِدَ سيدنا يوسف عليه السلام كثيراً بتلك الهدية، فأخذها شاكراً صديقَهُ على لطفِهِ معجباً به وبذكائِهِ.

عندما ترى صورتكَ في المرآة، هذا ليس حقيقةً، إنه خيالك، والإنسان العاقل يقدِّرُ هذا ويعلمه.

الوجودُ والجمالُ الأزلي والرحمةُ اللامتناهية هي لله وحدَه جل جلاله، وعندما يشعر الإنسان بضعفِهِ وعجزِهِ عندها يلجأ لله تعالى، وهذا اعترافٌ منه بهذه الحقيقة.

المرآة فارغة، وإذا وُجِدَ شيءٌ تُظْهِرُهُ مقابلَها فلا يكون وجودُهُ حقيقياً فيها، وإنَّما تُظهِرُ أثرَهُ.

الوجود.. حقيقةٌ ثابتةٌ تعود لله جل جلاله.

معرفة مكانه

خلال السنة الأولى من الحرب الأهلية في أمريكا، ذهب الرئيس لينكولن إلى كنيسةٍ كبيرةٍ في واشنطن.

قال له البابا بلهجةٍ جادَّة:

ـ سيادةَ الرئيس؛ أنا أدعو الله أنْ يكون إلى صفِّنَا في نضالِنَا.

وبكلِّ هدوءٍ أجاب الرئيس:

ـ الحقيقة التي أنا على يقينٍ من صحَّتها هي أنَّ الله دوماً يقف في صفِّ المظلومين وأصحاب الحقِّ، ولكنَّ الذي يقلقني وأدعو الله طوالَ الليل وطوالَ النهار من أجله هو كيف ستكون مكانتُنَا عند ربِّ العالمين.

إذا أردْتَ أنْ تعرفَ مكانتَكَ عند ربِّ العالمين فانظرْ إلى مكانتِهِ في قلبك، والمهم هنا أنْ تحافظَ على مكانتكَ عند ربِّ الكون، وإلى الأبد.

أنت صنعت سقوطك

كَثُرَتْ حوادثُ السرقة في عهد السلطان محمود، وفي ليلةٍ لبسَ السلطانُ ملابسَهُ متنكِّراً، وبينما هو يتجوَّل في الأزقَّة الْتَقَى بمجموعةٍ من اللصوص، فقال له أحدهم:

ـ ايه يا صديقي؛ ماذا تفعل في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وفي هذا المكان المُقْفِرِ.. عمَّاذا تبحث؟!

أجاب السلطان:

ـ أنا أيضاً لصٌّ مثلُكُم.

أفسحَ اللصوصُ مكاناً للسلطان بينهم، وبينما هم يتحدَّثون قال أحدهم:

ـ يا أصدقاء؛ ما رأيكم أنْ يتحدَّثَ كلٌّ منَّا عن موهبتِهِ، وما الذي يتقنُهُ أو هو بارعٌ في صنعِهِ؟

وقف أحد اللصوص وقال:

ـ أنا أفهم في لغةِ الكلاب، فعندما تعْوِي الكلابُ أعرف ما الذي تقوله، وما الذي تعنيه.

ضحك اللصوص، فقال:

ـ هذه الموهبةُ تساوي درهمين.

وبدأ كلٌّ واحدٍ يعرضُ موهبتَهُ، فقال أحدهم:

ـ أنا موهبتي في عيني، أستطيع أنْ أرى فيهما في الظلام، وأستطيع أنْ أميِّزَ الشخصَ كما لو أنَّني أراه في وَضَحِ النهار.

ـ أنا موهبتي في قوة ذراعي، أستطيع أنْ أحطِّم أيَّ جدار.

وقال آخر:

ـ أنا موهبتي في أنفي، أستطيع اكتشافَ مكانِ أيِّ خزنةٍ تريدونها عن طريق تَتَبُّعِ رائحتِهَا.

وهكذا استمر اللصوص واحداً تلو الآخر بالتَّفَنُّنِ في عرضِ مواهبهم.

وجاء دور السلطان محمود!

ـ هيا أيُّها الصديق الجديد.. هات ما عندك.. ما هي موهبَتُك؟

قال السلطان محمود:

ـ أنا موهبتي في لحيتي، فأنا إنْ حُكِمَ عليَّ بالسجنِ أو الإعدام، أستطيع أنْ أنجوَ بمجردِ أنْ ألْعبَ بلحيتي!

ـ يا إلهي! يا لَهَا من موهبةٍ رائعةٍ، منذ الآن فصاعداً ستكون أنت زعيمنَا، وسنفعلُ كلَّ الذي ستقولُهُ لنا.

ـ حسناً.. ما دام أنَّني زعيمُكم، هيا إذاً إلى خزينةِ السلطان.

لم يبدِ أيٌّ من اللصوصِ أيَّ اعتراضٍ، وتوجَّهُوا جميعاً إلى قصرِ السلطان.

وعند اقترابِهِمْ من قصرِ السلطان بدأ كلبٌ هناك بالنُّباح، فقال اللص الذي ذكر أنه يعرف لغة الكلاب:

ـ انتظروا.. قفوا لحظة.. هذا الكلبُ يقول: إنَّ السلطان معكم!

ردَّ عليه اللصوص الآخرون:

ـ لا تتفوَّه بكلامٍ سخيف، هيا لنكملْ ما جئنَا من أجله.

وبحث الرجل الذي يعرف مكانَ الخزينة عن طريقِ تَتَبُّعِ رائحتِهَا، ودخلوا إلى مكانِ الخزينة بعد أنْ مكَّنَهُم الرجل القويُّ من الدخول إلى المكان الذي فيه الخزينة، فأخذوا من محتويات الخزينةِ ما استطاعوا أخْذَه، وعادوا إلى مخبئِهِمْ عن طريقٍ سرِّيٍّ.

وبعد أنْ عرف السلطان مخبأَهم والطريقَ المؤديةَ إليه، عاد إلى القصرِ بهدوء وسرِّيَّة، وفي صباح اليوم التالي أرسلَ السلطانُ جنودَه إلى المكانِ الذي يختبئُ فيه اللصوص، وقبضوا عليهم متلبِّسِين بالجُرْمِ المشهود، وجاؤوا بهم مكبَّلِينَ إلى القصر، واقْتِيدُوا إلى الساحة لتنفيذِ الحكم العادلِ الذي يستحقُّونَهُ، وكان جميعُهُمْ يرتعدُ من الخوف.

وفجأةً قال الرجل الذي يتعرَّفُ على الأشخاص إذا رآهمْ في الليل مشيراً إلى السلطان:

ـ يا إلهي؛ إنَّ الرجل الذي كان معنا بالأمسِ، يجلسُ الآن على العرش!

عندَها قال السلطان موجِّهاً كلامه إلى اللصوص:

ـ نعم يا أصدقائي؛ البارحة كنتُ معكم، وكلٌّ منكم قد استخدمَ موهبتَهُ، وأثبتَ براعتَه، بقيتُ أنا الشخص الوحيد الذي لم أستخدمْ موهبتي، والآن جاء دوري.

وبحركةٍ من رأسِ السلطان نجا اللصوص من تنفيذِ العقاب.

بالرغم من أنَّه لا يليقُ بالعبد أنْ يرتكب المعصيةَ في حقِّ الله تعالى، ومهما أكثر من الذنوب فإنَّ الله يعفو عنه ويغفر له، ويكفي العبدَ أنْ يدقَّ بابَ الله تعالى طالباً الرحمةَ والمغفرةَ ليمنحَهَا سبحانه له.

الطفل الضائع

جاء رجلٌ متقدِّمٌ في السِّنِّ إلى رجلٍ صالحٍ يشكو له همَّهُ، ويشرح له مشكلتَهُ، علَّ هذا الأخيرَ يستطيع أنْ يساعده.

كان الرجل في حالةٍ يُرثَى لها، وكانت مظاهرُ الحزنِ العميقِ وعلاماتُ التعبِ الشديدِ واضحةً عليه، جلس عند قدمَي الرجلِ الصالحِ وشكا له باكياً:

ـ كان عندنا طفلٌ عمره سبعُ سنوات، اختُطِفَ من فترة، بحثتُ عنه في كلِّ مكانٍ ولكنْ بلا جدوى.. انظرْ إلى الحالِ التي وصلتُ إليها، ولكنني لم أستطعِ العثورَ عليه.

هنا قال له الرجلُ الصالحُ معاتباً ومؤنِّباً:

ـ شيءٌ غريب! عندما يفقد الإنسانُ اللهَ ويبتعدُ عنه، ولا يبحثُ عنه أبداً؛ عندها لن يستطيعَ أنْ ينالَ مرادَهُ،

أنت مثلاً.. في هذا العمر هل يفعلُ بك ضياعُ طفلٍ هذا الفعل؟! لماذا لم تبحثْ عن الله ﷻ؟ وعندها اطلبْ منه أنْ يجدَ لك ابنَكَ الضائع، كما وُجِدَ سيدنا يوسف من قبل.

تمالَكَ الرجلُ نفسَهُ عندما سمع هذا الكلام، وعدَّلَ من هيئتِهِ، وتاب إلى الله تعالى من هذا الجزع الذي استولى عليه، وما هي إلا فترةٌ وجيزةٌ حتى جاءه خبرُ العثورِ على ابنِهِ الضائع.

كلُّ تلك النِّعَمِ التي نَنْعَمُ بها هي من عطاءِ الله لنا، هو الذي وَهَبَ لنا الصحة والمال والأولاد والأحفاد، ويجب أن لا يتعلَّقَ قلبُنَا بما وهبنا، وإنَّما يكون حبُّنَا للذي وهبَ وأعطَى.

معرفة من أين أتَتْ

كان طبيب الرئيس التركي السابق توركت أوزال رحمه الله يتحدث قائلاً:

ـ أُجْرِيَ للرئيس التركي عمليةُ استئصال ورمٍ خبيثٍ في إحدى غدده، ومن شدة الألم لم يكنْ يستطيعُ النوم، ومرَّتْ عليه ليالٍ عديدةٌ لم يغمضْ له جفنٌ، وكنا نبقى عندَه حتى الصَّباح.

وذات يوم قلت له:

ـ سيدي الرئيس؛ أعلم أنك تتألَّم كثيراً، ولكن لا يبدو عليك ذلك، حتى أنك لم تتأوَّه.

فأجابني الرئيس:

ـ اسمع؛ سأحكي لك حكاية:

«ذات يومٍ ذهب أحدُ الطلاب إلى شيخٍ صالحٍ ليتعلَّمَ

منه، ولكنَّ الطالبَ كان فضولياً وكثيرَ الأسئلة، وذات مرة سأل أستاذَهُ:

ـ ما هي الشريعة؟ وما هي الطريقة؟ وما هي الحقيقة؟

لم يجبْه الشيخ في ذلك الوقت عن هذه الأسئلة. ولكنهما لما ذهبا إلى الجامع للصلاة، توجَّه إلى مكانِ الوضوء، وكان هناك أناسٌ عند الموضَّأ، فقال الشيخ لطالبه:

ـ هل رأيتَ ذلك الشخص ـ وأشار إلى رجلٍ يتوضَّأ ـ؟ اذهبْ واضربْه على رقبته!

ذهب الطالب ففعلَ كما أمره شيخُهُ، فالْتفَتَ إليه الرجل غاضباً وصفَعَهُ، عاد الطالب إلى شيخه وقال له:

ـ ما هذا؟

قال له:

ـ هذه هي الشريعة!

ثم أشار الشيخ إلى رجلٍ آخر وقال للطالب:

ـ اذهبْ واضربْ ذلك الرجل أيضاً.

فاستدار الرجل، ونظر إلى الطالب غاضباً، ثم عاد وأكمل وضوءَهُ.

سأل الطالبُ شيخَهُ:

ـ ما هذا؟

قال له الشيخ:

ـ هذه هي الطريقة!

وتابع قائلاً:

ـ إن الرجل يعلم أنَّه ستأتيه صفعة، ولكن ممن ستأتيه لا يعلم، لذلك استدار إليك ونظر غاضباً.

ثم عاد الشيخ وأشار إلى رجلٍ ثالث وقال له:

ـ اذهبْ واضربْه.

ففعل الطالب مثلما فعل في المرتين السابقتين، ولم يستدر الرجل ولم تبدُ عليه علاماتُ الغضب أو ردَّةُ الفعل، وتابع وضوءه كأنَّ شيئاً لم يحدثْ!

دهش الطالب فأجابه الشيخ:

ـ هذه هي الحقيقة! هذا الرجل يعرف أنَّه سوف تأتيه صفعة، ويعلم تماماً من أين أتتْ».

تابع السيد الرئيس قائلاً:

ـ بالنسبة لي أعرف من أين يأتي الألم، لذلك لا أتأوَّهُ ولا أشتكي.

إنَّ وراءَ كلِّ حادثةٍ ظاهرةٍ سببٌ غير واضح، ووراءَ كلِّ شيءٍ ماديٍّ له قسم، ووراء كلِّ ملكٍ يوجد ملكٌ أكبرُ منه وأوسع.

أحياناً تبدو الحوادث على غيرِ حقيقتِهَا، تبدو وكأنَّ هنالك ظلماً ما على الإنسان، ولكنْ في الحقيقة هناك قدْرٌ من العدالة السماوية فيها.

مثلاً.. إذا حكم قاضٍ على شخصٍ بالسجن بجُرْمِ سرقة، ولكنَّ هذا الشخص لم يسرقْ؛ هنا في هذا الموقف القاضي لم يظلمْه، ولكنَّ قدَرَهُ أنْ يلقى هذا الجزاء.

هذا بالطبع ما يبدو من هذه الحادثة؛ إنَّها قَدَرُهُ ولكنْ ثمةَ أشياء خافية على الإنسان، أحياناً يظنُّ أنَّه يفهم ما يحصل، ولكنَّ الحقيقة أنَّه فهم وعرف شيئاً مقابلَ أشياء كثيرة يجهلها ولا يعيها.

وبالطبع لا نستطيع أنْ نقول لكلِّ شيءٍ يحدث معنا: «هكذا حصل» دون أنْ نعرف المغزى والحكمة من حدوثها.

فمثلاً ذلك الرجل البريء الذي حكمَ عليه القاضي بالسجن ظلماً، هو في الحقيقة منطلقٌ أو أساسٌ لمكافأةٍ من عندِ الله تعالى.

رسولنا الكريم ﷺ

مَنْ هو الرسول؟

طُلب من القائد الإسلامي الكبير خالد بن الوليد أن يعرِّفَهُمْ على الرسول ﷺ فقال:

ـ أنا في هذا الموضوعِ عاجزٌ تماماً، لا أستطيع، اعذروني أرجوكم.

ولكنْ أمام إصرارِهِمْ قال:

ـ مكانة الرسول تليق بعظمة المُرسِل الذي أرسله؛ الله ﷻ والباقي يجب أنْ تفهمه أنت.

إذا دعا سلطانٌ عظيمٌ أناساً إلى بيته، فمن المؤكَّدِ أن ضيافتَهُ وكرمَهُ ودعوتَهُ ستكون لائقةً بمكانتِهِ وعظمتِهِ.

هذا يشبه بائع الجواهر؛ إذا نظر إلى جوهرةٍ نادرةٍ من

قريبٍ فهو لن يستطيع مطلقاً أنْ يصفَهَا، وباعترافِهِ بعجزه عن ذلك يكون قد أعطاها حقَّهَا من الوصف «**والعجزُ عن الإدراكِ إدراك**».

لقد استحييتُ

ذات يومٍ كان الإمام يعلِّمُ الطلاب في الجامع، وبينما هو يتحدَّثُ عن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لأحدهم وهو يغادر الجامع:

ـ آه يا بني.. لقد لدغني عقرب!

ـ حقاً ما تقول يا شيخي، ولكنك لم تصدرْ أيَّ صوتٍ أو أيَّ حركةٍ ولم تجعلْنَا نشعرُ بذلك؟

ـ هل يجوز لي وأنا أتكلم عن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أنْ أقولَ أو أفعلَ شيئاً غيرَ مناسبٍ لمقامِهِ وجلالِ قدرِهِ؟ استحييتُ أنْ أفعلَ ذلك.

لو لم يكنْ هؤلاء الصحابةُ والتابعون والعلماءُ يتصرفون بهذا الرُّقيِّ والاحترامِ في حضرتِهِ ﷺ لما تعلَّمْنَا نحن كيف نتأدَّبُ إذا حضر ذِكْرُ الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

كان الصحابة والتابعون على درجةٍ من الأدب والتهذيب والحب العظيم المتفاني لمقامه ﷺ.

في تلك البلاد الحارَّة ورغم ذلك الألم الشديد بسبب لدغة العقرب وسمِّهَا الزعاف لم يحرك فيه ساكناً احتراماً لحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ هكذا كان يحبُّه الذين عاشوا معه.

علامات النبوة

قال سيدنا موسى عليه السلام لرسولنا الكريم ﷺ وهما في رحلة العروج إلى السماء مذكِّراً إيَّاه بجملتِهِ التي قالها أنه سيأتي قومٌ من أمته لو استطاعوا أنْ يأتوا قبله لرأى الناس عليهمْ شيئاً من صفات النبوة:

ـ أريدُ دليلاً على تلك الجملة التي قلْتَهَا.

عندها استدعى رسولُنا الكريم شخصاً يدعى الإمام الغزالي، فسأله سيدنا موسى:

ـ من أنت؟

فأجاب الإمام الغزالي:

ـ ابن عبد الله.. ابن أحمد.. ابن.. وهكذا بدأ يذكر أسماء شجرةِ عائلتِهِ حتى وصل إلى اسمه: الغزالي.

سأل سيدنا موسى عليه السلام:

ـ لماذا أطلتَ إلى هذا الحدِّ؟ كان يمكنك أنْ تقول اسمكَ منذ البداية، لماذا فعلتَ ذلك؟

فأجاب الإمام:

ـ أيُّها النبي الكريم؛ هل تذكر عندما كنتَ في جبل الطور وكلَّمَكَ الله تعالى وسألكَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قلت له: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ وقد كان من الممكن أنْ تقول منذ البداية: «هي عصا» تُراكَ لماذا أطلْتَ هكذا؟

ـ أنا كنت أكلِّمُ الله تعالى، وكنتُ أريد أنْ أطيلَ لأنَّني أريدُ أنْ أستفيدَ من كلِّ دقيقةٍ في الكلام مع جلالةِ الله تعالى.

ـ وهل لي أنْ لا أطيلَ في الحديث وأنا أكلِّم رسولَنا الكريم؟ أنا أيضاً أردْتُ الاستفادةَ من كلِّ دقيقةٍ معه.

قال سيدنا موسى لسيدنا محمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم:

ـ يا سيدنا يا محمد.. أنتَ مُحِقٌّ في قولك.

يا رب.. اِرْضَ عن أولئك الذين يعلمون كيف

يتصرفون في حضرةِ الكبار والعلماءِ، وقد نذروا أنفسهمْ لخدمة الإنسان والإنسانية.. اللهم وفقْهُمْ لما تحب وترضى.

خالد بن الوليد

في أحد المعارك.. عندما حَمِيَ الوطيس واحتدمت المعركة، أصابَهُ رمحٌ في خُوذتِهِ فسقطتْ مع عمامتِهِ وتدحرجتْ بين صفوفِ الأعداء.

نسيَ كلَّ شيءٍ حولَهُ وبدأ يركض وراءَ عمامتِهِ، وعند رؤيةِ الجنود لقائدِهِمْ متَّجهاً نحو صفوفِ العدو خافوا عليه ونبَّهوه قائلين:

ـ إنَّك ترمي بنفسِكَ إلى الخطر يا سيدي.

ـ وما أهميةُ ذلك! منذ عدةِ سنواتٍ وأنا أخبِّئُ في عمامتِي ثلاثَ شعَراتٍ لرسولِ الله عليه الصلاة والسلام، وأخاف أنْ تقعَ في أيدي الأعداء.

هذا القائد الإسلامي العظيم يعطي جنودَه درساً في كيفية احترامِ وحبِّ رسولِ الله ﷺ، ويعلِّمُهُمْ كيف أنَّه

يفديهِ بروحِهِ، وربما كان يرى أنَّ النصرَ الذي يحرزه إنَّما هو ببركةِ هذه الشَّعَراتِ الثلاثِ المباركات.

في الواقع لولا حبُّهُ اللامحدود للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لَمَا احتفظَ أصلاً بهذه الشَّعَراتِ الثلاثِ كلَّ تلك السنين.

عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص داهيةَ عصرِهِ في المجال السياسيِّ والعسكريِّ، وكانت لديه صُرَّةٌ يحرص عليها حرصاً شديداً، ويصابُ بالجَزَعِ إذا اقتربَ أحدٌ منها أو أخرجَ منها شيئاً، وعندما اقترب أجلُهُ سأله ولدُهُ العالم التقيُّ عبد الله بن عمرو بن العاص مستغرباً خوفَهُ وقلقَهُ الشديد على هذه الصُّرَّة:

ـ لماذا كلُّ هذا الحرصِ والقلقِ على هذه الصّرَّةِ يا أبي؟

غضب عمرو بن العاص من ابنه وقال:

ـ تريد أن تعلم ما الذي كان بداخلها يا بني؟ لقد كنتُ أضعُ بداخلها ثلاثَ شَعَراتٍ لرسول الله ﷺ، وكنتُ أريد أنْ أضعَهَا تحتَ لساني عندما أقابلُ ربِّي.. علَّني ألقى ببركةِ هذه الشَّعَراتِ حساباً يسيراً.

يجب علينا التعرُّفَ على الأشخاصِ الذين كانوا حولَ الرسول ﷺ، فهم يتمتَّعونَ بعبقريَّةٍ نادرةٍ، وقلوبٍ مفعمةٍ بمحبَّته، وترجموا هذه المشاعرَ والأحاسيسَ إلى أعمالٍ من أجل الإنسانية.

فبإلْمامِنا بجوانب من حياتهم ـ رحمهم الله ـ نستطيعُ التقرُّبَ من رسولِنَا الكريم ﷺ أكثر، فما اجتمعَ فيه عليه الصلاة والسلام تفرَّقَ في صحابتِهِ الكرام رضوان الله عليهم.

احترام الرسول
عليه الصلاة والسلام

كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريقه إلى صلاة الجمعة، فمرَّ من أمام بيتٍ قديمٍ، كانت مياه المطر تسيل من مزرابِ المنزل فتلوثتْ ثيابُ سيدنا عمر، فمدَّ يدَهُ ونزعَ المزراب ورماه، و عاد إلى بيته فبدَّل ثيابَهُ، ثم أسرعَ للصلاة ليدركَ الوقت.

وبعد إقامة الصلاة والخطبة، قال أحدهم بصوتٍ عالٍ:

ـ إنَّك تؤذي المؤمنين وتسبب لهم الضَّرر!

فرَدَّ عمرُ شارحاً الحادثة للمصلين، ثم قال:

ـ انتزعتُ المزرابَ ورميتُهُ حتى لا يؤذي المارة.

فجاء صوتٌ من الخلْف مؤنباً عمر رضي الله عنه:

ـ يا عمر؛ بحقِّ الله ماذا فعلت؟

إنه صوتُ سيدنا العباس، أحبُّ أصحابِ عمرَ إلى قلبِهِ.

ـ يا رب؛ هذا هو العباس عمُّ الرسول عليه الصلاة والسلام، وبركةُ يدِهِ أنزلتْ علينا المطر.

ثم قال العباس:

ـ يا عمر؛ هذا السقْفُ سقْفُ بيتي، وهذا المزراب وضعَهُ الرسول عليه الصلاة والسلام بيده هنا!

ـ يا عباس؛ سأذهب وأضعُ رأسي تحتَ المزراب، وأنت ستقف على رأسي لتعيدَ المزراب إلى مكانه، وقبل إعادةِ المزراب إلى مكانه لنْ أرفعَ رأسي عن الأرض!

فعل العباس ما طلبه منه عمر رضي الله عنهما وأعاد المزرابَ لمكانه.

كان أصحابُ محمدٍ ﷺ يحبُّونَه حبّاً بلا حدود، وقد قال قائلهم: «لم أرَ في حياتي أحداً يحبُّ أحداً كما يحبُّ أصحابُ محمدٍ محمداً».

فهم يُكِنُّونَ هذا الاحترام والتَّبجيلَ لكلِّ شيءٍ تركَهُ أو له به ذكرى، وقد علَّمونا كيف يكون الحبُّ والاحترامُ له

ﷺ... فهذا سيدنا عمر الذي قاد فتوحاتِ الشرق والغرب.. الرومِ والفرسِ.. يضعُ رأسَهُ على الأرض.

في الوقت الذي سنعود فيه لنتخلَّقَ بتلك الأخلاق والصفات التي يتحلَّى بها صحابتُهُ رضوان الله عليهم، ستعود العزة للمسلمين كما كانت.

رسولنا أمامنا

كان (يافوز) مضطراً أنْ يعبرَ صحراءَ سيناء لكي يستطيعَ أنْ يستوليَ على مصر.

في تلك الفترة كان يحكمُهَا (تومان باي)، وكان يأمُلُ أنْ يتمَّ ذلك الأمر دون التعرضِ لهذه المخاطرِ باجتيازِ هذا التيه المليءِ بالأفاعي والعقارب والحشرات السامة، إضافةً للحرارةِ العالية أثناء النهار والتي تصل الأربعينَ، والبردِ الشديدِ خلال الليل والذي يقترب من الصفر.

انطلقَ والجيشُ خلفَه، ومَشَوا على الرمال الحارَّة الملتهبةِ بكلِّ تواضعٍ وأدبٍ، وقد صوَّبُوا أنظارهم نحو هدفهم الذي لن يحيدوا عنه، وكما هي العادة في مثلِ هذه الصحراء الشاسعة كان أمامهم دليلٌ يرشدُهُم للطريق.

نال التَّعبُ من الجنودِ بعد سيرهم لساعاتٍ طوالٍ على

الأقدام في هذه الظروف القاسية، على الرغم من أنَّ كلَّ قائدٍ يحاول أنْ يرفعَ معنوياتهم.

قال الوزراء:

ـ ما رأيكم أنْ تركبوا الحصان يا مولاي؟

فأجابَ وفي قلبِهِ حبٌّ وشوقٌ ومشاعرُ نقيَّةٌ طاهرة:

ـ ألا ترونَ؟! كيف أركبُ حصاني ورسولُ الله عليه الصلاة والسلام يمشي أمامَنَا!

كلماتُه جعلتْ دموعَ جنوده تبلل وجْناتِهِمْ ولِحَاهم لدى سماع مليكِهِمْ، كما بلَّلَ المطرُ تلك الرمال فجعلها باردةً رطبةً حانيةً تحت أقدامهم.

فاجتازوا التيه خلالَ ثلاثةَ عشرَ يوماً فقط!

وإلى يومنا هذا لم يستطعْ أحدٌ أنْ يفسِّر كيف استطاعوا اجتيازَ هذه المفازة.. ولم يحدثْ بعدَهَا أن اجتازَهَا أحدٌ بأقلَّ من هذه الفترة.

حتى يومنا هذا.. كلما خرج المسلمُ في سبيل الله ورسولِهِ.. يكون رسولُنَا الكريم في المقدمة، لم يتركْ أمَّتَه

لوحدها في يومٍ ما، كان دوماً معهم يمدُّ يدَ الرحمةِ والحبِّ لهم.

وكان ذلك العشقُ النُّورانيُّ يجمع بينه وبين أمَّتِهِ، وكلُّ نصرٍ تحرزُهُ أمَّتُهُ يكونُ هو مِنْ ورائِهِمْ يمدُّ يدَ العونِ لهم.

من الكبير؟

ذات يوم بينما كان العالمُ الصُّوفيُّ شمسُ الدين التَّبريزيُّ جالساً أمام باب الخان، رأى مولانا متَّجهاً إلى مدرسة «ياموكشو» يركبُ بغلاً وبجانبه يمشي اثنان من تلاميذه، وفجأةً ركض التَّبريزيُّ إليه وأمسكَ بلجامِ البغل وأوقفه ثم قال:

ـ مَنْ أكبرُ: شخص لديه العلمُ الماديُّ والمعنويُّ سيدنا رسول الله ﷺ أمْ سيدُنَا بيازيد البسطامي؟!

ـ طبعاً رسولنا محمد ﷺ، كلُّ الرُّسُلِ يفْضُلُونَ العلماءَ علماً.

قال الحبيب المصطفى: «**سبحانك اللهم لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» في حين قال بيازيد: «أنا مجردٌ من كلِّ نقصٍ! شأني عظيم، وأنا سلطانُ السلاطين!».

عند هذا السؤال نزلَ مولانا من على دابَّتِهِ، ودخلَ في نوبةٍ من التفكير العميقِ، وذُهِلَ عمَّا حوله، ثم عاد فقال:

ـ العالم بيازيد كان قد تجاوزَ عدة مراحلَ ووصلَ إلى نقطةٍ ما، عندما أدار رأسهُ وقال هذه الكلمات، في حين سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام تجاوزَ هذه المراحلَ في اليوم ربَّما سبعين مرةً، ولكن لم يُدِرْ رأسَهُ ولا مرة!

بعد ذلك أمسكَ بيد التَّبريزيِّ وقادَهُ إلى المدرسة.

إذا كان هنالك ملك أو عظيم للكائنات، فهو سيدنا محمد ﷺ؛ هو ملكٌ وعظيمٌ فوق الكائناتِ والكون، ونحن أوجدَنَا الله لأجله.

أوَّل مرةٍ رأى فيها سيدُنا محمدٌ ﷺ سيدَنا جبريل عليه السلام كان في السماء قابضاً جناحيه، ومن هَوْلِ المشهد أُغميَ عليه عليه الصلاة والسلام ثم أفاق، ولو أنَّه كان باسطاً جناحيه لما استفاقَ عليه الصلاة والسلام إلى يومِ القيامة.

ماذا أردتَ مني؟!

في حلقةِ ذِكْرٍ في تكيَّةٍ كان هناك زاهدٌ اشتهت نفسُهُ الكباب، وفكَّرَ أنَّه لا يستطيع التركيز في الذكر، فقال في نفسه: لأذهبْ وآكلْ كباباً حتى لا يكونَ هذا مانعاً لي من الذكر.

وبينما هو خارجٌ من التَّكيَّةِ رأى ضابطاً وجنودَهُ قادمين ففكَّرَ: سأضرب هذا الضابطَ على وجهه، وطبعاً سيضربني الجنود، وسترى نفسي الأمَّارةُ بالسوءِ ماذا يعني أنْ تشتهي الكباب.

اقتربَ من الضابط وصفَعَهُ على وجهِهِ فاجتمعَ الجنود عليه وضربوه، وفجأةً قال الضابط:

ـ توقَّفوا أنا سأحلُّ المسألة.

واقترب من الزاهد وفكَّ أزرارَ معطفِهِ، وعندما رأى اللباسَ الخاصَّ بالتَّكيَّةِ فركَ أذنَهُ قائلاً:

ـ يا عزيزي؛ إذا أرادتْ نفسُكَ الكباب، أنتَ ماذا أردْتَ مني؟!!

❁ ❁ ❁

ليس المهمُّ أين تكون، ولكنَّ المهمَّ مَنْ تكون.

مهما كان عملُ الإنسان أو منصبه؛ من الممكنِ أنْ يكونَ قلبُهُ ممتلئاً بحبِّ الله.

من هم.. أين هم..؟

من المعروف أنَّ منقذي الإنسانيةِ والنَّاصحين للناس هم من طرازِ المتواجدين في المساجد والتَّكيَّات، ولكنْ في كلِّ مكانٍ هناك أناسٌ عابدون زاهدون؛ في المعامل.. في المدارس.. في المناجم.. والإنسانية تحتاج الكثيرَ من هذا الطراز.

أشياء كثيرة

ذات ليلةٍ هبَّتْ عاصفةٌ بحريةٌ قويةٌ فقذفت الأمواجُ كلَّ نجومِ البحر للشاطئ.

اقتربَ شابٌّ من الشاطئ وأخذ يعيدُ نجومَ البحرِ للماء، وبينما هو يمسكُ واحدةً واحدةً يعيدُهَا؛ اقتربَ منه رجلٌ مسنٌّ وقال له:

ـ يا ولدي؛ انظرْ لهذا الشاطئ، كم هو طويل! مازال أمامَكَ عشراتُ الكيلومترات وهذه النجومُ كثيرةٌ جداً ولا تُحصى، فباعتقادك كمْ ستستطيع أنْ تعيدَ منها إلى الماء؟ وماذا سيغيِّرُ عملُكَ الصغير في هذا الشارع الطويل؟

أجاب الشاب ـ وهو يمسكُ نجماً ويقذفه للبحر ـ:

ـ إنَّ ذلك سيغيِّرُ الكثير..!

يوجد أشياء قيمةٌ كثيرةٌ في حياة أيِّ شخص..

أنْ تمسكَ بيدِ شابٍّ تدلُّهُ على طريق الخير والسعادة.

أو تعلِّمَ أحدَهم كيف يحيا في هذه الدنيا باستقامة، وكيف يستطيع أنْ ينجوَ في الحياة الآخرة.

أو أنْ تدلَّهُمْ على السعادة الدائمة في الآخرة.. هي أشياءُ قيِّمة.

أنْ تكون سبباً لهدايةِ شخصٍ ما، خيرٌ من الدنيا وما عليها.

الفاتح الحقيقي

ذات يومٍ سأل إبراهيم باشا نديماً:

ـ يا نديم؛ مَنْ هو فاتحُ الكونِ ومالكُه في هذه الدنيا؟

ـ مَنْ وهبَ حياتَه للناس وفتح قلبَهُ لهمْ يكونُ أكبرَ مالكٍ لهذا الكون في هذه الدنيا.

في عصرنا هذا.. إنَّ أكبرَ الفاتحين هم الذين أسَّسُوا المدارس ونشروا العلم في العالم، وهم أيضاً الكادرُ التعليميُّ والتربويُّ في هذه المؤسسات، وكلُّ ما عداهم يبقى صغيراً وضئيلاً إذا قورنَ بهم.

الأغنام المباركة

كان هناك شابٌّ في السابعة أو الثامنة عشرَ من عمره من طلبةِ بديعِ الزمان. . يوماً وهو في طريقه إلى السيد خلوصي كان يكلِّم نفسه، ويقوم بحركاتٍ بيديه تدلُّ على غضبِهِ الشديدِ ونفاذِ صبرِهِ.

وبعد انتهاءِ الدرس، توجَّهَ مخاطباً السيد خلوصي:

ـ أراك لازلْتَ متفائلاً جداً وترى الدنيا ورديَّة، هل لازال لديكَ أملٌ في التغيير؟!

هزَّ رأسهُ يمنةً ويسرةً ثم ذَرَعَ المكان جيئةً وذهاباً عدة مرات، ثم التفتَ إلى السيد خلوصي قائلاً بصوت مرتفع:

ـ هل باعتقادك أنَّ حضورَ خمسةِ أو ستةِ أشخاصٍ إلى هنا، وقراءتهم لهذه المقالات سيجعل الأمور تتحسن، وأنَّ كلَّ شيءٍ سيكون كما تريد؟! انظرْ إنَّهم مثل قطيع الغنم!

بكلِّ هدوءٍ وصبر. . وبوجهٍ مبتسمٍ ردَّ عليه السيد خلوصي:

ـ برأيك ما العمل؟

ـ رأيي أنْ نحملَ السلاح ونقتلَ كلَّ هؤلاء المارقين العاصين.

ـ حسناً؛ برأيك كم شخصاً تستطيع أنْ تقتل منهم؟

ـ كم شخص؟ ألف شخص!

نظر السيد خلوصي إلى الشاب نظراتٍ تدلُّ على عدم تصديقِهِ، فقال الشاب في نفسه: «لعلَّني بالغتُ قليلاً في العدد».

ـ خمسمئة.. سأقتل على الأقل خمسمئة منهم.

النظراتُ نفسُها من السيد خلوصي.

ـ مئة.

النظراتُ ذاتُها.

ـ خمسون.

ـ عشرة.

لم تتغير نظرات السيد خلوصي، عندها قال الشاب غاضباً:

ـ هل تظنُّ أنَّني لا أستطيعُ أنْ أقتلَ منهم عشرةَ

أشخاص؟ لو أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا قتل اثنين منهم لاستأصلْناهم من جذورهم، ولَأَرحْنَا الكونَ من فِسقِهِمْ وفجورِهِمْ.

قال السيد خلوصي بلهجة واثقة:

ـ لن تستطيع أنْ تقتلَ أحداً، ولا حتى شخصاً واحداً، ولو صوَّبْتَ سلاحَكَ نحوَه لربما استطعْتَ أنْ تصيبَه فقط، وعندها برأيك ماذا سيحدث؟ ستدخل أنتَ السجن، أنت ومن هم يفكِّرون بطريقتك.

تابع السيد خلوصي مبتسماً:

ـ يا بني؛ ليست العبرة بقوة الفعلِ وسرعتِهِ، ولكنَّ العبرةَ بالنتيجة التي سيؤدِّي إليها هذا الفعل.

من الأفضل لك وللآخرين أنْ تحملَ بيدك اليمنى نورَ المعرفةِ والفكر، وبيدك اليسرى مشعلَ الإيمان والتقوى، خيراً من أنْ تحمل سلاحاً تهدم به مستقبلكَ ومستقبلَ الآخرين.

كان من الواضح أنَّ السيد خلوصي لم يستطعْ بكلماته هذه أنْ يخفِّفَ من غضبِ وثورةِ الشابِّ، أو يغيِّرَ من طريقة تفكيرِهِ، بل كان الشابُّ يتمتم بصوتٍ خافتٍ:

ـ يقول: «لا أستطيعُ أنْ أقتل أحداً من هؤلاء»، المشكلة أنَّني لا أريد أنْ أمدحَ نفسي أمامه لئلا يظنَّ أنَّني مغرورٌ أو ما شابه ذلك.. في الحقيقة أنا لست بحاجة إلى السلاح، بلكمةٍ واحدةٍ منِّي أستطيعُ أنْ ألقيَهُ أرضاً.

ولم تمضِ فترةٌ طويلةٌ من الزمن.. وفي أثناءِ تنظيمِ مسابقةٍ للجمال، صوَّبَ هذا الشاب سلاحَهُ نحو أحدِ الصحفيين، وأطلق عليه أربعَ رصاصاتٍ أصابتْهُ إصابةً بليغةً ولكنَّه لم يقتلْه، وكانت النتيجة كما هو المتوقع، دخل السجن هو ومجموعة من رفاقه.

أفضلُ طريقٍ للتغييرِ والإصلاحِ هو طريقُ السلم والتفاهم، وهذا الشاب لم يكن مقتنعاً بهذا، **ولكنْ يجب على مَنْ أرادَ الإصلاحَ أنْ يصلحَ نفسَهُ أولاً**، ويعلمَ ما الذي يستطيعُ أنْ يقدِّمَهُ للإنسانية من خير، وما هي الوسائل لتحقيق ذلك، هذا الشاب لم يكنْ يعلم ولكنَّ الحياةَ كانت كفيلةً بأنْ تعلِّمَهُ.

لغة التفاهم

ذات يومٍ تصدَّقَ رجلٌ ببعض النقود على أربعةِ أشخاصٍ كانوا يجلسون معاً، وقال لهم:

ـ اذهبُوا واشترُوا بها شيئاً تأكلونَهُ.

أخذ الرجال الأربعةُ النقودَ وقال الأول:

ـ أريد أنْ أشتريَ بها «أكنور».

ردَّ الرجل الثاني:

ـ لا؛ أنا أريد أنْ أشتريَ بها «أنب».

قال الثالث:

ـ لم يسألْنِي أحدٌ عن رأيي، أنا لا أوافقكُم، أريد شراءَ العنب.

قال الرابع:

ـ أما أنا فأريدُ شراءَ طعامِي المفضَّل: «الإستفال».

اختلف الرجال الأربعة فيما بينهم، وارتفعتْ

أصواتهم، وكاد هذا الخلاف أنْ يتحولَ إلى شجار، وفي هذه الأثناء سمع أصواتَهُمُ العاليةَ أحدُ المارة، فاقترب منهم، وبعد أنْ سمع كلامهم، وفهم الذي يتشاجرون من أجله تكلَّمَ معهم، ثم أخذهم إلى محلٍّ قريبٍ لبيع الخضار والفواكه، واقتادهم إلى مكانِ بيعِ العنب، ثم رفع عنقوداً من العنب وقال للرجل الذي طلب العنب:

ـ هل هذا الذي كنتَ تريد شراءَه؟

ولدهشتهم؛ أجابه الرجال الأربعة بوقتٍ واحدٍ بكلمة: «نعم»!

عندها أدرك الجميع أنَّهم كانوا يريدون شراءَ الشيءِ نفسِهِ!

المحبة والتفاهم والعلاقات الهادفة والمشتركة؛ هي التي تجتمع عليها الإنسانية في كلِّ المجالات في هذه الدنيا، وبالحبِّ والودِّ وحدَهُ تستطيع الإنسانية أنْ تبنيَ هذا الكون، وهذه هي اللغةُ المشتركةُ بين جميعِ الأجناس والأعراق والأديان.

ليس أنا.. وليس أنت

ذات مرةٍ ذهب الخليفةُ العباسيُّ إلى الجامع للاستماعِ إلى درسِ الوعظ. . وحين لاحظ الشيخ الذي يَعِظُ الناس دخولَ الخليفة وجلوسَهُ بين المستمعين، تغيَّرتْ لهجتُهُ في الكلام، وأصبح يوجِّهُ الكلامَ بطريقةٍ مؤنِّبَةٍ قاسيةٍ موجِّهاً نظراتِهِ إلى الخليفة وكأنَّه يقصده بكلِّ الكلام الذي يقوله.

قال الخليفة العباسي موجِّهاً كلامه للشيخ الواعظ:

ـ من المؤكَّدِ أنَّك لست بأفضلَ من سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وأنني لست بِشَرٍّ من فرعون!

عندما أرسلَ الله جل جلاله سيدَنا موسى وأخاه هارون إلى فرعون أوصَاهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

فيا شيخي العزيز؛ بأيِّ حقٍّ تخاطبني أنتَ بهذه اللهجة القاسية؟!

عندما يضع الله تعالى الإنسان في موضعِ الناصح

والمرشد للناس؛ يجب أنْ يخلصَ نيَّتَه لله تعالى أولاً، ثم يملأَ قلبَه بحبِّ الناسِ وعطفِهِ عليهم، وأنْ يكونَ هدفُهُ ومبتغاه إعانتهم على التوبة والهداية، لا تنفيرهم من الدِّين.

قال الله تعالى في سورة طـٰه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

الشمس والريح

ارتدى الرجل معطفَهُ ووضعَ قبَّعته على رأسه وخرج من منزلِهِ.

في هذه الأثناء كانت الشمس والريح تنظران إلى الرجل، فقالت الريح للشمس:

ـ ما رأيك أنْ ندخلَ في رهانٍ؛ أيٌّ منَّا التي تستطيع أنْ تجعلَ هذا الرجل يخلعُ معطفَه وقبَّعتَه؟

قبلت الشمسُ الدخولَ في الرهان، ولمعرفةِ مَن التي ستبدأ في المحاولة أجريَا قرعةً فخرج اسمُ الريح.

بدأت الريحُ بالهبوب، ثم اشتدَّتْ قليلاً، فانتبه الرجل إلى ذلك، فضمَّ معطفَهُ إلى جسدِهِ، وعدَّلَ من وضعيةِ قبَّعتِهِ على رأسه وأكملَ مشواره!

اشتدت قوةُ الريح أكثرَ فأكثرَ فلاذ الرجل بإحدى زوايا

الشارع، وزَرَّ أزرارَ المعطف، وأتمَّ طريقه واضعاً يده على قبَّعتِهِ خوفاً من أن تطير!

وهكذا.. تشتدُّ الريح وهو يزدادُ تشبُّثاً بمعطفِهِ وقبَّعتِهِ إلى أن استسلمت الريحُ وأعلنتْ عجزَهَا عن متابعةِ المحاولة.

جاء دور الشمس.. انقشعت الغيومُ قليلاً، وأطلَّت الشمسُ من ورائهَا ملقيةً بدفئِهَا على الكون، فأحسَّ الرجل بالاطمئنانِ وأيقنَ أنَّ العاصفةَ قد هدأَتْ، فخلَعَ قبَّعتَهُ وفكَّ أزرارَ معطفِهِ.

وبعد مرور القليل من الوقت.. اشتدَّت الحرارة، فخلع الرجلُ معطفَهُ وحملَهُ على يده متابعاً سيره.

عندها قالت الريح للشمس:

ـ حسناً؛ أنتِ التي كسبتِ الرهان.

❁ ❁ ❁

من المؤكَّد أنَّ التَّدخُّلَ في بعضِ الأحيان في شؤون الآخرين بشكل قاسٍ ومفاجئ ـ ولو كان الهدف لخيرِهِمْ ـ

يشعرُهُمْ بعدم الراحة، ولا يرغبون بالاستماع، وتكون النهاية الابتعادَ وعدمَ الحصول على نتيجةٍ إيجابية.

بينما تكون النتيجةُ أحياناً أفضل مما نتوقَّعُ عندما يكون تدخُّلُنا بشكلٍ وديٍّ لطيف.

إنَّ النصح الجارحَ القاسي، والذي يكون هدفُه النقد والتجريح فقط وليس النصح، لا يؤدي إلى نتيجة، بل على العكس؛ ربما زرع بين الناس العداوات والكره، وأدَّى إلى العناد والمكابرة، وانقلبت القضية إلى غالبٍ ومغلوب.

أما الكلام المحبُّ الخالصُ لوجه الله، وإلى إرشادِ الناس إلى الطريقِ القويم والتوبة والاستغفار، وإلى سَعَةِ رحمة المولى ﷻ فيؤدِّي إلى تقويةِ الروابط الإنسانية وزرْعِ المحبَّةِ والودِّ بين الناس.

لذلك كان من نصائح الأولين: «لا يجوزُ التَّكلُّمُ في أمورِ الدِّين بين الناسِ بشكلٍ غيرِ لائق».

زين العابدين

كان أحدُ سكان المدينة المنورة الفقراء يستيقظ كلَّ صباحٍ ليجدَ أمامَ باب منزلِهِ كيساً كبيراً مملوءاً بكلِّ ما تحتاجُهُ أسرتُهُ من المواد الغذائية.

في أحد الأيام.. استيقظ ولم يجدِ الكيس كما هي العادةُ كلَّ يوم!

دُهِشَ ولكنَّه لم يعرف السبب.. وبعد قليل أذَّنَ الفجر، وبدأ الناس يخرجونَ من منازلهم إلى الجامعِ لأداءِ الصلاة، وبدأ الناس يتناقلون خبرَ وفاةِ زينِ العابدين، وكان حزنهم عليه شديداً.

ولم يستطع الرجلُ الذي كان يُغسِّلُ زينَ العابدين أنْ يجدَ تفسيراً لتلك الكَدَمَاتِ الزرقاء على كتفِهِ.

في الحقيقة.. لقد كان زين العابدين كلَّ صباحٍ قبلَ

صلاة الفجر يحملُ إلى الفقراء حاجتهم ويضعُهَا أمام بيوتهِم ويذهبُ قبل أنْ يراه أحد.

في كلِّ العصور والأزمنة؛ كلُّ الذين يسعَونَ إلى مساعدةِ الناس في مختلفِ المجالات، ولا يعلمُ بجهودهم أحد.. هم جميعُهُمْ زينُ العابدين.

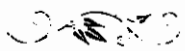

على اسم صاحبي

يخبر سيدنا موسى عليه السلام ـ كليمُ الله ـ مخاطبة المولى سبحانه له، إذ يقول له:

ـ يا موسى؛ لقد مرضتُ ولم تعدْني!

دُهِشَ موسى وتعثَّرتْ الكلمات على شفتيه، ولم يدْرِ بماذا يردُّ على ربِّه فقال متوسلاً ربه:

ـ سبحانك ربي؛ أنت منزَّهٌ عن كلِّ عيبٍ ونقص، فكيف تمرض يا رب؟!!

ـ لقد مرض عبدِي فلان ولم تعدْه، ولو عدْتَهُ لوجدتني عندَه.

يكون الله عند المرضى والعجزة والمحتاجين في كلِّ زمانٍ ومكان، ونحن لا ندري كم نكسب بتقدِيمِنَا المعونةَ والمساعدةَ لهذه الفئة من المجتمع، كم ييسِّرُ الله لنا

أمورنا، ربما في مجال العمل، ربما في توفيق الأولاد، ربما في كسْبِ رضا الوالدين.

لذلك يجب أنْ نكون حريصينَ على تفقُّدِ هؤلاء الناسِ أقاربَ كانوا أمْ من أهلنا أمْ من معارفنا، وأنْ نرى ما هي احتياجاتُهُم؛ معنويةً كانت أمْ ماديَّة، ونحاولَ قدرَ الإمكان أنْ نلبِّيها لهم.

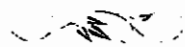

التدخل بين الناس

كان الراعي شوبان يرعى أغنامَهُ في مكانٍ قريبٍ من القرية، وعندما يحين موعدُ الصلاة يبدأ برسْمِ دائرةٍ كبيرةٍ حول القطيع، ثم يذهب إلى الجامع لتأديةِ الصلاة.

ومن الغريب أنَّ الأغنامَ لم تحاولْ في يومٍ ما أنْ تخرج خارجَ حدودِ هذه الدائرة، وكذلك الذئب؛ لم يفكِّرْ يوماً أن يقتربَ من هذه الدائرة.

يجب على الإنسان اللجوءُ إلى المبادئِ والقيم المعنويَّةِ العالية في هذه الدنيا، ليحميَ نفسه من الفتن والشرور في هذه الحياة، ويوجد الكثيرُ من الأمثلة بهذا الخصوص.

ويجب أنْ نتضرَّعَ إلى الله تعالى أنْ يحميَ لنا جيلَ الشباب الذي يكون في العادة من أكثرِ الفئات في المجتمع تعرضاً وتأثراً بهذه الفتن والشرور، وأنْ يحيطَ

هذا الجيلَ بتلك الدائرة من القيم والمبادئ الراقية، والأخلاق الحميدة، والتي تكون بمثابةِ درعٍ تحميه وتصونُهُ من الانحراف.

السيف اللامع

تقدَّم السيد أنطونيو جوستينياني سفيرُ فينيسيا إلى جلالة السلطان الشجاع سليم؛ حانياً قامته احتراماً لجلالة السلطان، مقدِّماً أوراقَ اعتمادِهِ كسفيرٍ لبلاده، وعند عودتِهِ إلى بلادِهِ كان الجميعُ يريد أنْ يسأله عن أحوالِ تلك البلاد، وعن الحضارة والتقدم فيها، والتي كان الناس يتناقلون أخباراً كالأساطير عنها، وعن سلطانها، وكيف رأى جلالةَ السلطان.

ـ لم أستطعْ أنْ أرى السلطان!

عندما أجاب السفير أنطونيو بهذا الجواب، ازداد فضولُ السائلين أكثر!

ـ كيف؟! كيف لم ترَهُ وأنت دخلتَ قصره واقتربْتَ منه؟!!

ـ لم أستطعْ أنْ أراه.. رأيتُ فقط سيفَهُ اللامع، ومن شدة لمعانِهِ لم أستطعْ حتى أنْ أنظرَ إلى وجهِهِ.

وعندما بلغَ سمعَ السلطان هذا الكلام قال لحاشيته:

ـ أترونَ لمعانَ وبريقَ هذا السيف العثماني.. كلُّ مَنْ يقتربُ من السلطان يجبُ أنْ يرى لمعانَه، وعلى رأسهم أعداءُ الإسلام، ولكنْ إذا حدثَ ذات يومٍ أنَّ ذلك السيف دخل في غمدِهِ وأصابَه الصَّدَأ، عندها سيقتربون شيئاً فشيئاً من بلادنا وسيتغلَّبون علينا.

وللأسف الشديد جاء هذا اليوم.. وذهبتْ حضارةُ الألفِ عامٍ، تلك الحضارة التي كان يتكلَّمُ عنها الناس وكأنَّها أعجوبةٌ أو خيالٌ.. انتهتْ.. انتهتْ عندما بدأ أشخاصٌ مرضى فاقدو الأهليةِ بالتعامل مع هذه الإمبراطورية.

وبدأ السؤال المؤلم الموجع للروح:

إذا كان الإسلام جيداً؛ فلماذا المسلمون متخلِّفون؟

عودة الذين هاجروا من بعيد

كان يحيى كمال ـ الشاعر المعروف ـ يسكنُ في الجزيرة الكبيرة، وفي أحد الأعياد نوى الذهابَ لأداءِ صلاة العيد، ومنذ اللحظة التي قرَّر فيها الذهابَ اعترتْهُ مشاعرُ غريبةٌ.

أتُراه يستطيعُ أنْ يستيقظَ للصلاة في الصباح الباكر، وهو الذي كان يحيا حياتَهُ كأيِّ شخصٍ متفرنجٍ، ويسهر لساعاتٍ متأخرةٍ من الليل؟

عندما رآه المصلون في الجامع دُهِشُوا وقالوا له:

ـ هنا مكانُ اجتماعِ المسلمين فقط!

وقد ظنُّوا أنَّه أحدُ الأشخاصِ الأجانبِ وأنَّه ليس مسلماً.

امتلأ قلبُهُ حزناً عندما سمع هذه العبارة، وخرج من الجامع وجلس بين اثنين من الحمَّالين، والموجودين في

الجامع ينظرون إليه، وكان هو أيضاً في الوقت نفسه يحاول اختلاسَ النظر إلى داخلِ الجامع.

وعندما سمع اسمَ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الخطبة والصلاة، امتلأتْ عيناه بالدموع وكان قد تشرَّب حبَّه من أمِّه منذ طفولتِهِ، وأحسَّ أنَّه بجسدِهِ وروحِهِ أحدُ هؤلاء المصلين.

وعند خروجِ المصلِّين من الجامع، اقتربَ منه السيد رشيد عاكف باشا، وعندها أدرك أنَّه أحسَّ بالسعادة مرتين هذا اليوم، قائلاً له:

ـ الحمد لك يا رب؛ لقد جعلتني أعيشُ حتى أرى أحداً منهم في الجامع، كنْ أحدَ المحظوظين في الانضمامِ إلى المصلين.

كان يحيى كمال يسكنُ في منطقةٍ لا تعرف الأذان، وها هو يتحدَّث في كتاباتِهِ عنهم:

«منذ طفولتي.. وأنا لم أبتعدْ عن طريقِ الدِّين، وحتى إخوتِي كانوا مثلِي، ولكنْ هؤلاء الآن لا يصدِّقون

رجوعَنَا، وعند عودتِنَا لم يتعرَّفوا علينا لأوَّل وهلة.. لأنَّنا انتقلنَا من هذه المنطقةِ منذ زمنٍ بعيد.

لقد كبرنا مع صوتِ الأذان يملأُ المكان من أعلى المآذن، ولكننا منذ زمنٍ بعيدٍ انتقلْنَا لنعيشَ في مكانٍ آخر، وذات يومٍ سنستطيعُ العودةَ إلى الوطنِ الأم وإلى صلاة الصبح، نتمنى من الله أن لا ينسى شبابُنَا العودةَ إلى الوطن الأم.. وأن يبقَوا ذاكرين ذلك.

ونتمنى أنْ يعودَ كلُّ الشباب الذين وُلِدُوا في أماكنَ لم يسمعوا فيها الأذان، ولم يرَوا آباءَهم واجدادَهم؛ أنْ يعودوا إلى بلادِهِم وحضارتِهِم ومنازلِهِم».

ولو رأى شاعرُنا العظيم هذا اليومَ لسُرَّ سروراً شديداً.

المخاوفُ نفسُها

كان بعضُ الأشخاصِ الموجودون حولَ الملك محمد حرزم شاه يحاول قولَ أشياءَ تثير القلقَ بخصوص الملك والهيبة، والتي تتعلَّقُ بولاءِ مولانا بهاء الوليد:

ـ لقد وصلتْنا الأخبار أنَّ علاقةَ الشيخ «بهاء وليد» بسكان مدينة بلْخ أصبحت قويةً ومتينة، وهم يأْتمرون بأمرِهِ ولا يسمعون لأحدٍ غيرِهِ، وهو لا يتقبَّلُ منَّا ولا منكَ، ولا يأخذُ بكلامنا، ونحن نرى أنَّه يريد الاستيلاءَ على الملك، وبهذا الخصوص يجب أنْ لا نضيِّعَ الوقت، ويجب علينا التَّحرك بسرعة.

وهكذا عرَّفَ بعضُ أصدقاء الملك المقربون الشيخَ بهاء الوليد بأنفسهم، وبدون تأخير أرسل الملك إلى الشيخ من يقول له:

ـ يا شيخنا؛ إذا قبل سكان مدينة بلْخ ـ اعتباراً من هذا

اليوم ـ سيكون المُلْكُ والعسكر والبلد لك، لأنَّ الله وهب لك مُلْكين؛ الأول ملْك الدنيا، والثاني ملْك الآخرة، وأنا إن أَذِنْتَ لي أريد أنْ أذهب إلى بلدٍ آخر لأستقرَّ فيه، لأنَّه لا يمكن أنْ يكون في بلدٍ واحد ملكان، أمَّا إذا أردْتَ أنْ تَهَبَ لنا ملكَ الدنيا نكون لك من الشاكرين.

رد بهاء الوليد على الرجل قائلاً:

ـ بلِّغْ سلامي للسلطان وقل له: كلُّ شيءٍ في هذه الدنيا الفانية من بلادٍ وعسكرٍ وملْكٍ وعرشٍ تفيد الملوك، أما نحنُ الدراويشُ الفقراء المساكين فالملك لا يليقُ بنا ولا يناسبنا.

ومع الأسف منذ ذاك الزمن إلى يومنا هذا لازال هناك أشخاصٌ عندَهم المخاوفُ نفسُها، والقلق ذاتُه، وهذه المخاوف وذاك القلق هو الذي يتحكَّمُ بحركاتهم وتصرفاتهم، وهم أيضاً سببٌ في تعاظُمِهِ ودوامِهِ، ولم يختاروا في حياتهم غيرَ حبِّ هذه الدنيا الفانية، ولم يحاولوا أنْ يبحثوا عن أعمالٍ ينالون بها رضا الله ﷻ وخدمةَ عبادِهِ المسلمين.

بينما عبادُ الله المقربون يَرَونَ الدنيا متاعاً فانياً، **والذي يبقى هو حبُّ الله ومرضاتُهُ**، ونرجو من الله ﷻ أنْ يفهمَ أولئك هذه الحقيقةَ يوماً ما.

الصداقة مع الثعبان

في صباح يومِ الجمعة بينما كان صالحُ بنُ عبدِ الله التُّسْتَريُّ يجلسُ في منزلِهِ؛ قُرِعَ الباب وجاءه ضيف. . وعندما فُتحَ الباب دُهِشَ الضيفُ من وجودِ ثعبانٍ كبيرٍ في الداخل، وشعر بالخوف فتردَّدَ في الدخول، ولكنَّ التُّسْتَريَّ قال له:

ـ ادخل يا أخي؛ يجب أنْ يكون خوفُنَا من الثَّعابين التي في الآخرة أكثر من خوفنَا من التي في الدنيا!

حمل الثعبانَ وأدخله غرفةً جانبيةً، ثم تابع قائلاً:

ـ إذا استطاعَ الإنسان أنْ يصادقَ ثعباناً في هذه الدنيا، عندها لنْ تستطيعَ الثَّعابينُ والعقاربُ أنْ تسببَ له ضرراً في القبر.

يجب أنْ يتعلَّمَ أصدقاؤنا قضاءَ بعضِ الوقتِ حتى مع الثَّعابين، ويبدو أنَّ وراءَ هذا القول معانٍ كثيرة.

إنَّ الذين يعيشون بجوارِ الحيوانات يحتاجون إلى القسوةِ ليستطيعوا السيطرةَ على حركتهم، إذ يقتبسون شيئاً من وحشيتها، وإذا أرادوا العودةَ للحياة مع الناس يكونون بحاجةٍ من جديد إلى اكتساب الحبِّ والرفقِ واللُّيونة.

أين أضعته؟

كان نصر الدين خوجا يبحثُ عن شيءٍ ما أمام منزلِهِ، رآه جيرانُهُ على هذه الحال فسألوه قائلين:

ـ السلام عليك يا جارَنَا العزيز.. عمَّاذا تبحث؟

ـ لقد وقع منِّي الختم.

ـ أين أوقعتَه؟ قل لنا حتى نستطيعَ أنْ نساعدكَ في البحث.

ـ لقد أوقعتُه في الداخل.. في صحن الدار.

ـ آه يا خوجا؛ وهل يجوز لمن أوقعَ شيئاً في صحنِ الدار أنْ يبحثَ عنه هنا!

ـ في الداخل هناك ظلامٌ دامس، ولا أستطيع الرؤيةَ جيداً، هنا في الخارج يوجد ضوء؛ قلت لنفسي أبحثُ هنا!

يبحث الإنسانُ عن الشيءِ الذي فقدَه في المكان الذي فقدَه فيه، ولا جدوى من البحث عنه في مكانٍ آخر.

نحن في هذه الدنيا لم نستطع المحافظةَ على مكانتِنَا، وأضعْنَا أخلاقَنَا لأنَّنَا ضعُفْنَا أمامَ محاولاتِ التَّغريبِ التي تعرَّضْنَا لها، لقد أضعْنَا حياتَنَا عندما أضعْنَا تعاليمَ دينِنَا.

لقد ضعْنا عندما أردْنا أنْ نتخلَّى عن قيمنَا ومبادِئِنَا، وإذا أردْنَا العودةَ إلى مكانَتِنَا وعزَّتِنَا السابقة، يجب علينا أولاً أنْ نحترمَ ونُولِيَ الأهميةَ لمبادِئِنَا وتعاليمِ دينِنَا.

الطلاب

ذات يوم.. بينما كان السلطان «موني الدِّين بيرفانا» جالساً في ديوانه:

ـ مولانا؛ حضرة هودافنديغار لم يتزوجْ بعد، وهو فريدُ عصرِهِ، ولا نظنُّ أنَّه سيكون مثلُهُ في هذا الزمان، ولكنَّ مريديه وطلابَهُ أناسٌ سُذَّجٌ وسيئون.

كان أحدُ الموجودين في الديوان قد نقلَ هذا الحديث إلى حضرةِ مولانا، وفوراً بعث بمذكرةٍ إلى السلطان يقول فيها:

ـ لو أنَّ طلابي كانوا مثلي لأصبحتُ أنا طالبَهُم، وفي الحقيقة.. إنَّ طَلَبَتِي هم أشخاصٌ جيدون، وعندهم الرَّغبةُ في العلم، ولذلك قبلتُ أنْ يكونوا طلابي.

في عصرنا هذا أيضاً يجب على الناس ذوي المكانةِ المهمَّة أنْ يعتنوا بانتقاءِ الأشخاصِ الذين يجالسونَهم

ويخالطونَهم ويرتادونَ مجالسَهُمْ، ومهما كانتْ وظيفتُهم، ومن أين أَتَوا، وما هو دينهم، يجبُ أنْ تكونَ وظيفتُهُمْ إسداء النصيحة الخالصة لوجهِ الله فقط.

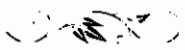

خصوصية كوتبو

في زمن بيازيد البسطامي كان يعيشُ كثيرٌ من أهل العلمِ والأولياءِ وأصحابِ الكرامات، وكان منهم رجلٌ أميٌّ اسمه: أسرين، يعمل حدَّاداً، وعندما سمع به حضر العالم بيازيد لزيارتِهِ، ولدى وصولِهِ إلى الدُّكَّانِ كان الحداد كعادتِهِ كلَّ يومٍ يطرق الحديد بمطرقته وسنَدانِهِ، فألْقَى السلام عليه، فرحَّبَ به الحدادُ كثيراً واقتربَ منه وعانَقَه، وطلب منه أنْ يدعوَ له، ولم يكنْ يعلم الحداد أنه أيضاً له مكانه عالية.

ابتسم العالم بيازيد وقال له:

ـ في الحقيقة أنا الذي أحتاج لدعائكم.. لأقبِّل يديكَ ولتدعو لي، أرجوك.

ـ أنا؟! ومن أكون أنا؟! وهل يحتاج عالمٌ مثلكَ لدعاءِ شخصٍ مثلي؟!!

ثم تابع الحداد وهو في حيرةٍ من الأمر:

ـ حتى لو دعوتُ لك هل سيذهب هذا همِّي ويحلُّ مشكلتي؟

ـ وما هي مشكلتك؟ اشرحها لي عسى نلقى حلاً.

عندها أُجْهِشَ الحداد بالبكاء وقال وهو يشهق ويبكي:

ـ غداً كيف سيكون حال الناس يوم القيامة؟ لا أستطيع أنْ أمنعَ نفسي من التفكير في هذا الأمر ليلاً نهاراً.

عندما سمع العالم بيازيد البسطامي هذا الكلام بدأ بالبكاء هو الآخر، وفي تلك اللحظة سمع صوتاً من داخله ينادي:

ـ أيها العالم بيازيد؛ هذا الحداد لا يفكر في نفسه إنَّما يفكر في أمَّتِهِ.

وفكَّر كيف أنَّ هذا الحداد يفكر في أشياء وهو الأمِّيُّ الذي لم يقرأْ كتاباً في حياته!

عندها قال للحداد:

ـ يا أخي؛ ولماذا تحزن أنت؟ الناس سيتعذبون وليس أنت!

ـ آه يا معلمي.. أتمنَّى لو أتعذَّبُ أنا وحدي في جهنم وينجو الآخرون، عندها فقط سأشعر بالسعادة.

وهكذا تعلم العالم البسطامي من هذا الإنسان البسيط الذي كان قلبه مرتبطاً بالله حقاً ما لم يكنْ يعلمُهُ.

لا تستطيع أنْ تقول أنَّك تعلم كلَّ شيء، فلربما يأتي يومٌ وتتعلَّمُ أشياءَ كثيرةً من أناسٍ بسطاءَ لا يتمتعون بالشهرة والمكانة بين الناس.

«أنا راضٍ بأنْ أرى أمتي وعلماءَ أمتي قد نجوا من عذابِ جهنم، وأنْ أتعذَّب بدلاً عنهم».

لأجل وجود مثلِ هؤلاء الأشخاص بُعث رسول الله ﷺ لله للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ ليعلِّمهم الرحمة والمحبة والإيثار.

البطيخ مصاص الدماء

كان الناسُ في إحدى القرى يظنُّون أنَّ البطيخ الأحمر قد أخذ هذا اللون من قتْلِ الناس وامتصاص دمائهم..!

وذات يومٍ جاء إلى القرية رجلٌ، ودُهِشَ عندما رأى الحقولَ امتلأت بالبطيخ دون أنْ يقتربَ منه أحد، ودُهِشَ أكثر عندما عرف السبب! وقرر أنْ يقنعهم أنَّ هذا اللون ليس من دمِ الإنسان وأنَّ البطيخ لا يفعل هذا الشيء.

وبدأ يجمع كلَّ البطيخ الأحمر الموجودِ في حقل أحدِ القرويين، فجاء القرويون إلى الحقل وكانوا في هذه الأثناء ينظرون إليه بريبةٍ خائفين، وعلى وشكِ أنْ يهربُوا.

أمسك الرجل بواحدةٍ واحتضنها فلم يحصلْ له شيءٌ مما كانوا يخافونه أو يتوقَّعونه، ولكنهم مازالوا غيرَ مطمئنين.

عندها أخرج الرجلُ سكيناً من جيبه وقطع البطيخةَ من طرفها إلى طرفها الآخر ولم يحصل شيء!

لم يصدِّق القرويون ما تراه أعينُهُم، وتابع الرجلُ الغريب تقطيعَ البطيخِ إلى قطعٍ، وأوضح لهم أنَّ ما كانوا يعتقدونه غيرُ صحيحٍ، وعاد الجميع إلى بيوتِهِم وهم يسخرون من أنفسهم كيف كانوا طولَ الوقت يفكِّرون بهذه الطريقة!

عندما أخذ الرجلُ البطيخةَ بيده وبدأ بتقسيمِهَا، كان الناس متأكدين أنَّهم سيرون كيف ستؤذيه وتمصُّ دمه، فإذا بقي الإنسان مصرّاً على خوفه من شيءٍ ما؛ فإنَّ هذا الخوف سيكبُر ويتعاظم.

ربما كان الإنسانُ محقاً في خوفه أو غيرَ محقٍّ فيه، ولكنَّه سيبقى دونَ أنْ يصل إلى نتيجة إذا لم يبحثْ في أسباب هذا الخوف ويتحقق منها.

وقد يكون خوفُ الإنسانِ من شيءٍ لا يستحقُّ، كما كان القرويون يخافون من البطيخ، وإذا بقي حبيسَ مخاوفه وشكوكِهِ، لا يقتنعُ إلا بوجهةِ نظرِهِ هو، ولا يأخذُ بعينِ الاعتبار وجهةَ نظرِ الآخرين، سيبقى بلا نتيجة وستتعاظم مخاوفُهُ وتستمر.

قال أحدهم: أدهشُ أحياناً عندما لا أرى الناس يرمونني بالحجارة وأنا خارجٌ من الجامع، مقابلَ هذا الضَّخِّ الإعلامي ضدَ الإسلام والمسلمين.

لذلك علينا جميعاً أنْ نتحقَّقَ من صحة المعلومات التي تردنا وعلى أساسِ ذلك نقرِّرُ صحةَ ما نسمُعُه ونتلقَّاه.

«خذ شيئاً رأيتَهُ ودعْ شيئاً سمعتَ بِهِ، فإنَّ في طلوعِ الشمسِ ما يغنيكَ عن زُحَلِ».

من المسؤول

كان بديعُ الزمان ذات يومٍ يتكلَّم عن البدوِ الرُّحَّل:

ـ أنتمْ بدوٌ رُحَّل لا تعرفون غيرَ رعْي الغنم، ولا تملكون في الدنيا غيرَ هذا القطيع من الأغنامِ، وكلُّ واحدٍ منكم أعطى أغنامَهُ لراعٍ كي يهتمَّ بها ويرعَاهَا ويحرسَهَا. ولكنَّ الراعي كسول، ولا يحبُّ أنْ يساعدَ أحداً، ولا يعطي لكلبِ الحراسة دوره الحقيقي.

وبالرغم من أنَّكم تعرفون حقيقةَ هذا الراعي، وأنَّه لا يمكن الوثوق به، أو الاعتماد عليه كليّاً؛ فإنَّكم مع هذا تعتمدون عليه وتستسلمون للنوم العميق!

أتراكم تستطيعون أنْ تهَبُّوا من نومكم إذا أحسستمْ بخطرٍ ما، وتكونوا عند أغنامكم بسرعة البرق؟!

هل يمكن أنْ يكون كلُّ واحدٍ منكم بطلاً، ويهبَّ لنجدةِ قطيعِهِ؟

ألا يتوجَّبُ علينا في الظروف الخطيرة أنْ نبدِّل الراعي بألفِ حارسٍ ضد الذئاب واللصوص؟!

نعم.. الكلُّ يعلم أنَّه لا يمكنُ للراعي أنْ يقوم بكلِّ هذه المهام لوحدِهِ، ويجب على كلِّ شخصٍ أنْ يقوم بحراسةِ أغنامِهِ.

ومن المؤكَّدِ أيضاً للجميع أنَّه علينا جميعاً أنْ نقومَ بحراسةِ بلدِنَا.. حدودِنَا.. حضارتِنَا.. أخلاقِنَا.. إسلامِنَا.. فهذه الأشياء ليست أقلَّ قيمةً من أغنامِ البدوي.

نحن نعترف أنَّه يوجد في المجتمع فئاتٌ قد مات ضميرهم، وآخرونَ ليست عندهم الغَيرة على أوطانِهِمْ، هؤلاء يجب الاهتمامُ بهم وليس لومهم، بل العملُ على إعادة تأهيلهم ليكونوا حراساً على ثغور الوطن.. في النهاية يجب على الإنسان أنْ يعتمد على نفسه وليس على الآخرين.

ماذا سيقول اللّه لي؟

بينما كان أحدُ علماء الفترة الأخيرة من الدولة العثمانية واسمه «خسرف أفندي» يشرح الدرس للطلاب؛ لاحظ طلابُهُ أنَّه ليس على ما يرام، فسألوه:

ـ خيراً يا شيخنا؛ يبدو أنَّ هناك ما يقلقكَ ويشغل بالك.

ـ لا تؤاخذوني يا أعزائي؛ لم أكنْ أريد أبداً أنْ أجعلَكم تشعرون بهذا، لقد توفِّيت ابنتي الشابة قبل خروجي من المنزل، ولم أستطعْ أنْ أقوم بواجبي في تجهيزها وتكفينها لئلا أتأخَّرَ عليكم! وقد فكَّرت أنْ ألغيَ الدرس ولكنَّني قلت لنفسي: ماذا سيقول الله لي إنْ أنا فعلت هذا؟ فتركتُهَا في البيت، والآن الجنازة تخرج من البيت، وأحياناً يذهب فكري إلى هناك فأشردُ قليلاً.

كم نحن بحاجةٍ لمثل هؤلاء المعلمين في زماننا

هذا.. ومن المؤكَّد أننا إذا استطعْنَا أنْ نمسكَ بأيديهم ستسعدُ البشرية جمعاء!

الحمد للّه.. إنّه ابني

بعد بذْلِ الكثير من الجهد؛ افتُتِحتْ مدرسةٌ خارجَ البلد، وفي أحد الأيام شاهدَ المدير طفلاً يسقط من نافذة الطابق العلوي، فركض إلى الأسفل، وبينما هو يقفز كلَّ عدةِ درجاتٍ معاً كان يفكر قائلاً لنفسه:

ـ يا إلهي؛ ماذا سأقول لعائلته؟ والمصيبة أنَّه إذا انتشر الخبر وأخذ الناس موقفاً سلبياً من المدرسة، ستضيع جهودُنَا هباءً، وستَتَضَرَّرُ العمليةُ التعليمية كثيراً.

وصل المدير إلى حيث يتجمَّعُ الطلاب والأساتذة، وعندما رأَوا المدير ابتعدَ الجميع.. تقدَّم المدير ونظر إلى الطفل، وإذا به جثةٌ هامدةٌ على الأرض، وعندما تعرَّفَ إليه تنفَّسَ الصُّعدَاء وقال:

ـ الحمد لله.. إنَّه ابني؛ وتَمتَمَ قائلاً: لن تسبِّبَ الحادثة أيَّ ضررٍ لأحد.

هذا المعلم والعالم خسرف أفندي؛ رمزٌ لأشخاص لهم الهدف نفسُه، ويلتقون على الخط ذاتِه، ويتمتعون بالأخلاق والقيم الرفيعة عينِها.

وفي الحقيقة.. إنَّ افتقادَنَا لمثلِ هذه النماذج في مجتمعنا، كانت أُولى الدَّلالاتِ على أُفُولِ نجمِنَا.

الخفاش ليس له وجه

في قديم الزمان نشبتْ حربٌ بين الطيور والحيوانات، ولم يستطعْ طرفٌ التَّغلُّبَ على الطرف الآخر، وكان هناك في الفريقين مجموعةٌ من الخفافيش، ولكنَّها طوال مدة الحرب كانت تقف على الحياد ولم تحاربْ معهم.

قالت الطيور يوماً للخفافيش:

ـ تعالَي وحاربي معنا.

ـ نحن حيوانات.

هكذا ردَّت الخفافيش.. وعندما سألتها الحيوانات أنْ تحاربَ إلى طرفِهَا كان ردُّهَا:

ـ نحن طيور.

وذات يومٍ قرَّرَ الفريقان عقدَ صلحٍ بينهما لإنهاءِ هذه الحرب الغبية، فسعدت الخفافيش وذهبت إلى الطيور تعرض عليها الانضمام إليها، ولكنَّ الطيورَ لم تقبلْ،

ورفضت الحيواناتُ أيضاً طَلَبَ الخفافيشِ الانضمامَ إليها أيضاً.

عندها فهمت الخفافيش أنَّ هذا كان نتيجةَ تصرُّفِهَا معهم أثناءَ الحرب، فانزَوتْ وشعرتْ بالخزي والعار والذنب، وبقيتْ هكذا في الظلام متخفِّيةً لا تُرِي وجهَهَا لأحد ولا تَظهَرُ في النهار أبداً.

يجب أنْ يكون للإنسانِ دورٌ في مساعدة الآخرين، فإذا رأى حريقاً ضخماً مثلاً فلْيشاركْ في إخمادِهِ ولو بدلْوِ ماء، ولا يقلِّلْ من قيمةِ مساعدتِهِ مهما كانتْ ضئيلة.

يجب أنْ يتركَ الإنسانُ أثراً طيباً في هذه الحياة، وأنْ لا يقابلَ الإساءةَ بمثلِهَا أبداً، بل يعْمَدَ إلى التَّصرُّفِ بمحبَّةٍ وتفهُّم.

أنا قلقٌ على مصيركم

ذات يوم.. وجد بهلول كرسيَّ الخليفةِ العباسيِّ هارون الرشيد فارغاً؛ فأسرع للجلوس عليه! وعندما رآه الحرس أسرعوا إليه ليُنزِلُوه من على الكرسي، وعندما رفضَ أخذوا يضربونَه، وأنزلُوه عُنوة.

عاد هارون الرشيد إلى قصرِهِ ولم يكنْ يعلم بما حدثَ في مجلسِهِ، وعندما دخل وجد بهلولاً يبكي بكاءً شديداً، فدهش لذلك وسأله عن سبب بكائه، فقال:

ـ جلستُ على كرسيِّ عرشك بضْعَ دقائق، وانظرْ ما حلَّ بي.. فكيف بكَ وأنتَ تجلس عليه كلَّ هذه السنين.. ماذا سيَحِلُّ بك؟

كلَّما أفكِّر بهذا لا أستطيع أنْ أتمالكَ نفسي من الخوف على مصيرك!

سيحاسبُنَا الله على هذه النِّعَمِ التي وهَبَنَا إيَّاها، وسنُسأَلُ

عن كلِّ الأمانات التي في أعناقنا؛ «كلُّكمْ راعٍ وكلُّكمْ مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ»، ومسؤوليةُ الفرد تختلفُ عن مسؤوليةِ الأمة، وسنُسأَل عن كلِّ فردٍ تحمَّلْنا مسؤوليتَهُ.. «لو شاةٌ على ضفافِ دجلةَ عَثَرتْ لرأَيتُنِي مسؤولاً عنها، لأنَّني لمْ أمهِّدْ لها الطريق» قالها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وبسبب خطورة هذه المسؤولية كان المسلمون الأوائل يتهرَّبون من الخلافة أو الولاية.

ولكن إذا وقعتَ أنت...

عندما رأى حضرةُ الإمام الأعظم أحدَ الأولادِ راكضاً في طريقٍ مليءٍ بالطين قال له:

ـ يا ولدي؛ انتبه كيلا تنزلِقَ قدمُكَ فتقع!

توقَّفَ الولد ونظر حوله، ورأى كيف هي حاله وهو قادمٌ إلى درس العلم، وفكَّر أنَّه لم يَجُلْ بخاطرِهِ سوى الوصول إلى الدرس، فقال للأمام أبي حنيفة:

ـ يا إمام؛ ليس مهماً أنْ تنزلقَ قدمي لأنَّه إنْ وقعتُ سوف أقعُ لوحدي ثم أنهضُ لوحدي.. ولكنْ إذا زَلَقَتْ قدمُكَ فإنَّ كثيراً من الناس ستنزلقُ أقدامُهُم معك وخلفَك، ولنْ يكون قيامُهُمْ سهلاً.

ينظرون إليكم

قال أحدُ الصوفيين في زمنِ بيازيد البسطامي لأحد الكفار:

ـ تعال أعلنْ إسلامَكَ تنجُ من نارِ جهنَّم.

لم يعجبْ أسلوبُ كلامِ الصُّوفيِّ الكافرَ فأجابه:

ـ كلامُكَ جيد؛ ولكن المشكلةَ أنَّني لا أستطيع أنْ أكون مسلماً مثلَ العالم بيازيد، ولا أريد أنْ أكونَ مسلماً مثلك! لأنَّكَ إذا نظرتَ إلى إيمانِكَ لاكتشفتَ أنَّه مقابلَ الإيمان يجب أنْ يكون هناك حبٌّ، وأنت لا يوجد عندك هذا الأخير!

ورد في الحديث الشريف عن رسولنا ﷺ بما معناه: إنَّ الله سيحاسبُ المؤمنَ على كلامِهِ، وعلى أفعالِهِ يوم القيامة.

يجب أنْ ينظرَ الإنسانُ إلى أقوالِهِ وأفعالِهِ كلَّ وقتٍ

ويفكِّر: لو نظر الناس إليَّ سيقولون واحدهم: لو كان الإسلامُ هكذا، فأنا لا أريد أن أُسْلِم.

ولو استطعْنا أنْ نمثِّلَ الإسلامَ وجمالَه ورُقيَّهُ تمثيلاً حقيقياً لرأينا كيف أنَّ كلَّ من ينظر أو يستمع إلى المسلمين سيدخل الإسلام.

صيامٌ كهذا

ذات ليلةٍ شعر هارون الرشيد بالضِّيقِ والمَلَلِ، فذهب برفقة وزيرِهِ إلى الفُضَيل بنِ عياض.. قرعَ الباب فردَّ الفُضيل:

ـ من بالباب؟

أجاب الوزير:

ـ أميرُ المؤمنين.

ـ لماذا سيأتي أمير المؤمنين إلى هنا، وما الشيء الذي سيأتي من أجلِهِ عندي، وما الشيءُ الذي يمكنني أنْ أقدِّمَه له؟ اذهبا ولا تشغلاني!

ـ سندخل.. فخذْ لنا الإذْنَ من أهلك.

وتحت إصرارِ الوزير فتح الفُضيلُ الباب.

كان الفُضيل يشعل ضوءاً خافتاً في حجرتِهِ، ويتعبَّدُ ربَّه.. اقتربَ من الخليفة وهو يَتَفحَّصُ يديه قائلاً:

ـ كم هي طريَّةٌ وناعمةٌ هاتان اليدان؛ فقط إن سلمَتَا من النار!

بكى الخليفةُ هارون الرشيد عندما سمع هذا الكلام وقال له:

ـ يا شيخي؛ إنَّني متضايقٌ كثيراً، فهل لك أنْ تنصحني بشيءٍ يريحني؟

أجاب الفُضيلُ بنُ عياضٍ هارونَ الرشيد الخليفةَ العباسي:

ـ أيها الخليفة؛ لقد تأخَّرتَ في طلب النصيحة، في حين؛ جدُّكَ العباس رضي الله عنه قال: «مُرْني يا رسول الله؛ أنا وقومي». فقال له ﷺ أن الأمر.. النَّدمُ يومَ القيامة، وهكذا أخذ العباس الجوابَ، وأنت ركضتَ إلى الأمر!

دُهش الخليفة، ولكنَّه أصرَّ على طلب النصيحة، وتوسَّل إلى الفضيل أنْ لا يردَّهُ، فأجاب:

ـ في زمن الخليفة العادل عمرَ بنِ عبدِ العزيز رضي الله عنه نادى أصدقاءه سالمَ بنَ عبدِ الله وكعبَ بنَ رجا وقال:

ـ يا أخوتي! لقد تورطْتُ في هذا الأمر؛ الكلُّ يرى الإمارةَ نعمة، وأنا أراها نقمة، أرجوكم ساعدوني.

فأجابه أصدقاؤه:

ـ إذا أردْتَ النجاةَ من العذاب يومَ القيامة، فيجب عليك أنْ تعامل الناس وأطفالَ المسلمين وشبابَهُم كما تعامِلُ أولادَكَ، وأنْ تعامِلَ الكبارَ والشيوخ مثلَ والدِكَ، وعامِلْ شعبكَ بالحسنى، واعتبرْ أنَّ الدنيا يومُ صيام، وموتُك هو إفطارُك، سيحاسِبُ الله الناس فرداً فرداً يومَ القيامة.

تابع الفضيل نُصْحَ الخليفة، ولكنَّ قلب الخليفة لم يعدْ يحتمل، وأراد الخروج، فسأله عند خروجه:

ـ يا شيخ؛ هل لك دَينٌ نقضيه عنك؟

ـ دَيني تقصيري في طاعة الله.

ـ أقصد الناس؟!

ـ الحمد لله ليس عليَّ دَينٌ لأحد.

أراد الخليفة أنْ يعطيَهُ ألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ، فقال الفضيل:

ـ أرى أنَّ النصيحةَ لم يكنْ لها تأثيرٌ عليك؛ أنا أدعوك إلى الآخرة، وأنت تدعوني إلى الدنيا.

قال هارون الرشيد وهو خارجٌ من عند الفضيل:

ـ هذا هو سلطان الآخرة.

❁ ❁ ❁

إنَّ الذين يحافظون على قيمة العلم وعزَّتِه لا يتوسَّلون أحداً، ولا يتمنَّون، ولا ينتظرون شيئاً أو منفعةً من أحد، وإذا تكلَّموا ونصحوا فيكون قصدُهُمْ رضى الله تعالى. لا يسْعَونَ وراءَ الإمارة؛ بل يتهرَّبون منها!

ذات مرةٍ كان الخليفةُ العباسيُّ هارون الرشيد يطوف حول الكعبة، فقال له أحدُ الطائفين:

ـ أيها الخليفة؛ سيحاسبُ الله الناسَ يوم القيامة على أعمالهم، أمَّا أنتَ فسيحاسبك عن كلِّ نفسٍ من أمَّتِكَ.

وعند سماعِ الخليفةِ لهذا الكلام أغشي عليه وارتمى أرضاً.

لم يستطع الخليفةُ العادل عمر بن عبد العزيز تحمُّلَ المسؤولية الكبيرة أكثرَ من سنتين فمات رَحِمَهُ اللَّهُ.

واحدٌ بعشرٍ

طلبَ متسوِّلٌ من سيدنا عليٍّ رضي الله عنه شيئاً، فقال سيدنا عليٌّ للحسن والحسين:

ـ ليذهبْ أحدُكُما إلى أمِّه وليقلْ لها: أعطني درهماً من الدراهم السِّتَّةِ التي أعطاها أبي لكِ.

ذهب أحدهما ثم عاد فقال:

ـ تقول لك أمي: إنَّها خبَّأتْها لتشتريَ بها طحيناً.

فقال سيدنا علي رضي الله عنه:

ـ إذا اعتمدَ الإنسانُ على ما في يده أكثرَ من اعتمادِهِ على الله، هذا يعني أنَّ إيمانَهُ لمْ يكتملْ بعد؛ اذهبْ إلى أمِّك واجلبْ كلَّ الدَّراهم.

أعطتْه السيدةُ فاطمة جميعَ الدراهم، وبدوره أعطاها لوالدِهِ فأعطاهَا للسَّائل.

لم يمرَّ على هذه الحادثة وقتٌ طويلٌ حتى أتى رجلٌ يريد أنْ يبيعَ بعيراً، فسأله سيدنا عليٌّ:

ـ كمْ تريدُ ثمنَ هذا البعير؟

فأجابَه البائعُ:

ـ مئةٌ وأربعون درهماً.

فسأله سيدنا علي إنْ كان يبيعه الآن على أن يعطيَه النقودَ بعد فترةٍ من الزمن، فقَبِلَ البائعُ وربط البعير وذهب.

بعد قليل جاء رجلٌ وسأل عن البعير، فقال له سيدنا علي أن البعير له، فسأله إنْ كان يريد أنْ يبيعه، فأجاب سيدنا علي أنه يريد مئتي درهمٍ ثمناً له، فقبل الرجل وأعطاه الدراهم وانطلق.

وفَّى سيدنا عليٌّ دَينه لصاحبِ البعير الأول، ثم عاد إلى بيته وأعطى السيدةَ فاطمةَ ستين درهماً بدلاً من ستة دراهم التي أخذها منها! فنظرتْ إليه باندهاشٍ وقالت:

ـ ما هذا؟!

فقال لها:

ـ قال تعالى على لسان رسولنا ﷺ أنه من تصدَّقَ بصدقةٍ عوَّضَه الله بعشرِ أمثالِها.

أصلُ الكرمِ في الجنة، وإنَّ الكرمَ في الدنيا أحدُ أغصانِ تلك الشجرة، وكان رسول الله ﷺ يوصي الناسَ بالعطاء والسخاء والكرم، وقد أعطى سيدنا علي رضي الله عنه بتصرُّفِهِ هذا درساً في الثقة بالله.

لوجه اللّه

قال نافع مولى عبد الله بن عمر:

ـ إذا كان أحدُكم يحب ماله كثيراً فلينفقْهُ في سبيل الله، وإذا كان عند أحدِكُمْ عبداً أخلاقهُ حسنة ويريد الحرية، ويقوم بكلِّ فرائضِ دينِهِ فليعتقْهُ لوجْهِ الله.

وذات يومٍ قال له أحد أصدقائه:

ـ ألا ترى يا عبدَ الله أنَّ عبيدك يخدعونك؟!

فردَّ عبد الله بن عمر:

ـ نحن نقبلُ أنْ يخدعونا ليجعلونا نفعلُ شيئاً لوجْه الله!

ذات يومٍ سيعودُ هؤلاء المخادعين إلى الحقيقة والصدق، بسبب هذا الشعور الصادق، والإخلاص لوجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾.

إلى الذي يعطي أكثر

عاد سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى المدينة، ومعه مئة بعيرٍ محمَّلةٌ بالقمح.. اقترب منه بعضُ التجار وأرادوا أنْ يشتروا منه القمح، فقال لهم عثمان رضي الله عنه:

ـ لقد بعتُهُ لمنْ أعطاني أكثرَ من ثمنِهِ!

دُهشوا واستغربوا لهذا الجواب، وذهبوا إلى الخليفة أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، ليشتكوا إليه، فردَّ عليهم أبو بكر:

ـ من المؤكَّدِ أنَّكم أخطأتمْ في فهم عثمان.

وذهب معهم إلى سيدنا عثمان وقال له:

ـ يا عثمان! هل قلت لهؤلاء الناس: أنا بعتُ القمحَ لمنْ أعطاني أكثر؟

ـ نعم؛ لقد قلتُ وعَنَيتُ أنَّني أعطيتُهُ لوجه الله!

وقام عثمان بعد ذلك بتوزيعِ القمح على الفقراء

والمحتاجين، وهكذا فهم الناسُ مرادَ سيدنا عثمان فيما قال.

هكذا كان سيدنا عثمان رضي الله عنه، وكان رسولنا عليه الصلاة والسلام يحبُّهُ كثيراً، ويقدِّرُهُ لتضحياتِهِ في سبيل الله والإسلام، ولذلك قال فيه مرة في الحديث الشريف: «لا يضرُّ عثمانَ ما عملَ بعدَ اليوم».

لقد ارتفعتْ راياتُ الإسلام على مثل هذه الأكتافِ العظيمة، ولا شكَّ أنَّ كلَّ مسلمٍ بحاجةٍ إلى مثل هذا الإدراك والفهم العميق للإسلام، وإلى مثل هذه الأخلاق العظيمة.

ليست المغرفة هي التي تعطي

قال إمام الجامع: ذات مرَّةٍ سألوا أحدَ الكرماء:

ـ ألا ترى أنَّك عندما توزِّع الطعام أو الصدقات على الفقراء والمحتاجين بنفسك أنَّ هذا العملَ يصيب قلبكَ بالكِبْرِ لأنَّ الناس يشعرون نحوكَ بالشكر والامتنان؟

ـ لا أبداً؛ لأنَّني في الحقيقة أرى نفسي وكأنَّني مغرفةٌ في يدِ طبَّاخ، والأشياء التي تعطيها المغرفة هي في الحقيقة من الطَّبَّاخ.. هو الذي يعطيها، وهل برأيكم تستطيعُ المغرفةُ أنْ تقول: أنا التي أوزِّعُ الصدقات؟!!

ليت كلَّ الذين يفعلون الخير يرونَ أنفسَهم أنَّهم مجردُ وسيلةٍ في يدِ المعطي الأصلي، وهو الله ﷻ، لئلا يصيبَهُمْ الكِبْرُ والغرورُ، ويسري إلى نفوسهم نوعٌ من أنواع الشرك فيُفْسِدَ عليهم أعمالَهمُ الخيِّرة.

الاعتياد على التضحية

ذات يومٍ جاء أحدُ المسؤولين الكبار إلى مولانا زائراً فقال له:

ـ أرجو أنْ ترشدني إلى طريقةٍ تجعلني لا أتألَّمُ عندما تخرج روحي من جسدي، وأنْ لا أعاني من سكرات الموت!

فأجابه مولانا:

ـ إنَّ ألمَ الاحتضارِ شديدٌ جداً، ولا يمكن لأحدٍ أنْ ينجوَ منه دون أنْ يبذلَ أيَّ جهدٍ في حياته، ويحتاج أنْ يبذلَ كثيراً ولسنواتٍ عديدةٍ في العبادة وأعمال الخير، وأنْ يعوِّدَ نفسَه على بذْلِ المال والنفس في سبيل الله.

وإذا اعتادَ على التضحية بنفسِهِ ومالِهِ، ومشى في طريقِ الخير، فعندما يأتي مَلَكُ الموت لينتزعَ روحَه من الجسدِ لنْ يشعرَ بأيِّ ألمٍ، وبكلِّ سهولةٍ ويسرٍ سيعطيها لأنَّه سيعيدُ

الأمانةَ لله ربِّ العالمين، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾.

فالمؤمنُ الذي عوَّدَ نفسَهُ على البذل والعطاء بالغالي والرخيص في سبيل الله؛ سيعطي روحَهُ ولنْ يشعرَ بألم، وسيعطيها بسهولةٍ دون ذرَّةِ ألم.

الذين يشعرون بالألم عند تسليم الروح، هم الذين لم يتعوَّدُوا العطاءَ والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله، وهؤلاء سيكون ألمهم ومشقَّتهم شديداً عند النَّزْع.

إنَّ وظيفةَ المؤمن في هذه الدنيا هي التضحية وبذْلُ النفس في سبيل الله، وأنْ يعطي من مال الله الذي أعطاه الله إياه، من القوة، ومن الصحة، ومن العلم.. التي هي من عطاياه ﷻ.

وفي الحقيقة.. يظهر حبُّ الإنسانُ الشديدُ لنفسِهِ أو مالِهِ من مسألة التضحية والكرم والعطاء، وكلُّنا يعلم أنَّ الله ليس بحاجةٍ لتضحياتِنَا أو لكرمِنَا، ولكن المهمَّ هو مفهوم البذْل عند الإنسان.

وهنا يجب على الإنسان أنْ يتعلَّمَ منذ البداية معنى

البذل والتضحية، وأنْ يتنافسَ مع المؤمنين ليس على الدنيا إنَّما على فعل الخير.

ويجب على المؤمن أنْ لا يتعلَّقَ بالحياة الدنيا ومتاعِهَا، لأنَّ كلَّ هذه الأشياء لم تكنْ معنا عندما أتينا إلى الحياة الدنيا، ولنْ تذهبَ معنا، والإنسان الذَّكيُّ هو الذي يفقَهُ جيداً هذه المسألة، وهنا ينطلق في مسيرته الدنيوية، وسهولةِ تخلِّي الإنسانِ المؤمنِ عن روحِهِ في ساعاتِ الاحتضار.

فهو قد تعوَّدَ على التخلِّي عن كلِّ شيءٍ في هذه الدنيا، وأنَّ هذه الدنيا لم تكنْ سوى محطةٍ يتزوَّدُ منها الإنسان للحياة الحقيقية وهي الآخرة.. وهي بُشرَى المؤمن.

أمل الفقير

كان عند التِّبريزيِّ رجلٌ غنيٌ جداً اسمه بدر الدين. . ذاع صيتُهُ بالكرم وانتشرَ بين الجيران، وكان يسكن في جوارِهِ رجلٌ فقيرٌ، وعند سماعِهِ بكرمِ بدر الدين بدأ بالاقتراض من الناس، وكان واثقاً من أنَّه بعد ذلك عندما يذهبُ إلى بدر الدين ويطلب منه نقوداً ليُسدِّدَ ديونَه سيعطيه كلَّ ما يريد.

ـ أذهبُ إلى التِّبريزيِّ أقابلُ بدرَ الدين، ونصيبِي من جودِهِ وإحسانِهِ سَيَفي ديوني.

وبعد أنِ اقترضَ كثيراً ذهب إلى التِّبريزيِّ؛ ولكنْ وهو في الطريق توفِّي بدر الدين! وعندما سمع الرجل الفقير أنَّ بدر الدين توفَّاه الله حزن حزناً شديداً وبكى طويلاً، وذهب ذاتَ يومٍ إلى قبرِهِ وقال مخاطباً القبر:

ـ آه يا صاحب الكرم والجود؛ لقد اقترضْتُ كثيراً، وكنتُ واثقاً وطامعاً بكرمِكَ وجودِكَ، فماذا سأفعل الآن؟

ولم يتمالك نفسَهُ بعد أنْ تذكَّرَ ديونَهُ، وأخذ يبكي بصوتٍ عالٍ.

في تلك الليلة رأى أحدُ أصدقاءِ بدرِ الدين أنَّ بدرَ الدين جاءَه في المنام وقال له:

ـ يوجد فقيرٌ اقترضَ من الناس وكان واثقاً من أنَّني سأفِي ديوَنه، ولقد خبَّأتُ في المكان الفلانيِّ نقوداً تكفي لسدادِ ديونِهِ؛ اذهبْ وأخرجْ تلك النقود من مخبئهَا وأعطِهَا لذلك الفقير.

وعندما استيقظ هذا الصديق من نومِهِ ذهب مباشرةً إلى المكان الذي حدَّدَهُ له بدرُ الدين في المنام، وأخرج النقود وذهب إلى القبر، فوجد الرجلَ الفقيرَ مازال يبكي، فأعطاه النقود وانصرف.

المولى ﷻ هو الكريم بلا حدود، وهذا الرجل ـ بدر الدين ـ يعلِّمُنَا حبَّ وآدابَ الكرم، وعندما يكون توكُّلُ الإنسانِ على الله حقَّ التَّوكُّلِ، سيكون شاهداً على عطايا

ربِّ العالمين التي لنْ يعرفَ من أين ستأتي، ولنْ يتوقَّعَ ممَّنْ ستحصل أو يحصل عليها.

وفي الحقيقة.. إنَّ ما نراه من رحمة الله بالناس وتلطُّفه بهم، هو بسبب اعتمادِنَا وتوكُّلِنَا عليه، وإذا عمل الإنسانُ ثم توكَّلَ على الله مولاه؛ سيفتحُ له خزائنَهُ، ولن يتخيَّلَ الإنسانُ ما الذي سينالُهُ من عطايا ربِّهِ.

المكان الذي سنذهب إليه

قال أحدُ الصالحين لأحدِ الأغنياء:

ـ أتحبُّ مالَكَ أكثرَ أمْ ذنوبَك؟!!

أجاب الغنيُّ:

ـ طبعاً مالي.

فقال له الرجل الصالح:

ـ أنتَ لا تقول الحقيقة! أنت تحبُّ ذنوبَكَ أكثر، والدَّليلُ أنَّك عندما تموتُ تتركُ مالَكَ وتأخُذُ ذنوبَكَ، وإذا كنتَ بطلاً فحاول أنْ تأخذَ مالَكَ واتْرك ذنوبك..!

إذا كنتَ تحبُّ مالَكَ حقاً كما تقول، إذاً أرسلْ مالَكَ إلى جوارِ ربِّكَ قبلَ أنْ تذهبَ أنت؛ حتى إذا ذهبْتَ تجدهُ أمامَكَ ينفعك.

الإنسان الذكي لا يتركُ مالَه الذي تعب في جمْعِهِ كثيراً

في الشارع ويذهب، بل يرسلُهُ إلى المكانِ الذي سيذهبُ إليه ومكانِ استقرارِهِ.

إنَّ الذي أنفقَ ماله في سبيل الله، هذا يعني أنَّه لم يتركْ مالَه في الطريق ويذهب؛ بل أرسلَ مالَه إلى المكانِ الذي سيذهبُ إليه، وإنْ لم يفعلْ ذلك سيأخذُ فقط ذنوبَهُ وسيتركُ مالَه.

مع المدين

كان الإمام أبو حنيفةَ يمشي ذات يوم وفجأةً رأى رجلاً ماشياً من بعيد، وما إنْ رأى أبا حنيفةً حتَّى أخفى وجهَه، وغيَّرَ وجهتَه، فانْزعجَ الإمامُ من هذه الحادثة، وقال في نفسه:

ـ ما الذي فعلتُهُ حتى يخبِّئَ وجهَهُ منِّي ويهربَ من مقابلتي؟

وهنا نادى الرجلَ:

ـ لماذا أخفيتَ وجهَكَ وهربتَ من مقابلتي عندما رأيتَني؟

أجاب الرجلُ وهو يتلعثم:

ـ يا حضرةَ الإمام؛ أنتَ لا علاقةَ لك؛ كنتُ قد أخذتُ منك عشرةَ آلافِ قطعةٍ نقدية، وقد مرَّ زمنٌ طويلٌ على سَدَادِهَا، وعندما رأيتُكَ شعرتُ بالخجل ولمْ أُرِدْ أنْ اقتربَ منك وإنْ لم ترني.

قال الإمام:

ـ سبحان الله! تلك النقودُ كانت هديَّةً منَّا لك، وها أنتَ الآن من أجلِ هذه النقود تخجلُ منِّي وتشعرُ بالحرج، أرجوكَ سامحْني لأنَّني سبَّبْتُ لك الإزعاج.

كان الإمامُ الأعظم ذكياً جداً، وقد شاهدنا أنَّه أعطى مثالاً راقياً للتعامل مع هذا الدَّائن عندما أحسَّ أنَّه محرج من عدم سداد الدَّين، فأجابه أنَّها في الأصل كانت هديَّةً ولنْ يطالبه بتسديدها، وليس فقط هذا فقد بلغ به الرُّقِيُّ والتهذيب أنْ يطالبَ بالسماح من الدَّائن لأنَّه سبَّبَ له هذا الإحراج.

سيدنا نوح موجودٌ أيضاً..!

أنقذَ أحدُ الرجال شخصاً من الغرق في السيول، ولدى سؤالِ الناس له: كيف أنقذتَه؟ تحدَّث طويلاً عن كيفيةِ إنقاذِهِ، وما الذي بذلَهُ لإنقاذِ ذلك الرجل، ومع مرورِ الوقت تطوَّرَ الأمر حتى أصبحَ هذا الرجل يُدعَى إلى مؤتمراتٍ تُعقَدُ لأجلِ إنقاذِ الناس من الغرق في السيول ليتكلَّم.

وتطوَّرَ أمرُهُ حتى أصبح يأخذ نقوداً مقابلَ هذه الكلمات، ثمَّ تطوَّرَ الأمرُ فأصبحتْ دروساً مهمةً يستعدُّ لها ويُحضِّرُ لها طويلاً، وعند وفاتِهِ سألتْه الملائكة:

ـ ماذا كنتَ تفعلُ في حياتك؟ وما العمل الذي كنتَ تقوم به؟ حتَّى نعلمَ أين نرسلك.

فوجئَ بالسؤال وأجاب:

ـ كنتُ أعقدُ مؤتمرات!

فأُرسلَ الرجل إلى جانبِ الذين يعقدون المؤتمرات

باستمرار، وذات يومٍ جاء دوره، وعندما اعتلى الكرسيَّ ليتكلَّمَ، اقترب منه أحدهم وفرك أذنه قائلاً:

ـ يا ولدي؛ هنا الجنة، قلِ الحقيقة، لأنَّه لنْ يغرقَ أحدٌ، وإذا كنتَ ستشرحُ كيف يمكن أنْ تنقذَ إنساناً من الغرق فانتبه لأنَّ بين المستمعين سيدنا نوح، ومن علمه نتعلم!

من السهل جداً أنْ يفقد الإنسان العلمَ الذي يدَّعي أنَّه بذل جهداً في الحصول عليه، وكتابَه الذي يدَّعي أنَّه أنفقَ وقتاً طويلاً في تأليفه..

يوجد كثيرٌ من الناس يبدؤون بتعلُّمِ سطرٍ واحدٍ في بداية موضوعٍ ما ثم هناك طريقان؛ إما أن يستمروا في البحث والجهد أو لا، لذلك يجب أنْ يعلم الإنسانُ حدودَهُ وإلا سيجدُ نفسَهُ قد وضع في مواقفَ لنْ يستطيعَ النجاةَ منها.

ومن الصعب جداً أنْ يكتشفَ الإنسانُ حقيقةَ الآخرين، وما يبدو للعيان ليسَ هو الحقيقة دوماً. قال سيدنا يونس

عليه السلام أنه ما تراه العين في القمة ليس هو كلُّ الحقيقة، وأجمل شيءٍ في الشخص هو أنْ يتحلَّى بالتواضع.

ليت كلَّ إنسانٍ يجد من يفرك له أذنَه ويقول له: انتبه؛ إنَّ سيدنا نوح موجودٌ بين المستمعين.

القبطان ديريا

كانت بعوضةٌ تظنُّ نفسها الكابتن ديريا، وذات يومٍ رأتْ تجمُّعاً للبول، فنزلتْ مسرعةً وحطَّتْ عليه، وبقيت محصورةً فيه، عندها قالت لنفسها:

ـ أيتها القبطان ديريا؛ انظري ماذا حلَّ بك؟! كنتِ تظنِّينَ أنَّكِ ماهرة، ولكن انظري أين هي نهايتك؟

هذه حكايةٌ كان يردِّدُها حضرةُ مولانا.

❁ ❁ ❁

لا يدرك الإنسانُ أنَّه إذا كان يشعرُ بالكِبْرِ والغرورِ أنَّه يمكن أنْ يضعَ نفسه في مواقفَ مضحكة.

وفي بعض الأحيان يظنُّ المتكبِّرُ نفسه وكأنَّه بطلٌ عالمي في الملاكمة أو في رفْعِ الأثقال، ويتصرف على هذا الأساس دون أنْ يعرفَ إمكانياتِهِ الحقيقية!

بينما في الحقيقة.. كلُّ المخلوقاتِ فقيرةٌ وضعيفةٌ وبحاجة للآخرين.

الله وحده هو القويُّ العزيز، وكلُّ شيءٍ يملكُه الإنسان يعود إلى الله الذي خلقه، فهو وهبه إياه، وهو يستطيع أنْ ينتزعَهُ منه.

إنَّ الإنسان المتكبِّرَ يبقى في النهاية وحيداً محروماً من الحبِّ والعلاقات الاجتماعية السوية.

لا تتجاوز الرسم

ذات يومٍ عرض أحدُ الرَّسَّامين رسُومَه في المعرض، وأخذ يتوافُدُ الناس إلى المعرض ليشاهدوا رسومَه، وكان بينهم أحدُ النُّقَّاد المشهورين الذي ما إنْ شاهد الرسومَ حتى أخذ يوجِّهُ ملاحظاتِهِ للرسام.. رحَّبَ الرَّسام بهذه الملاحظات وأخذها بعينِ الاعتبار، وعدَّل بعض رسومِهِ على إثْرِ ذلك.

بعد امتثالِ الرَّسَّام للملاحظات بدأ الناقد يتجاوز في نقْدِهِ فانتقدَ ملابسه! في البداية سكتَ الرَّسَّام ولكنه لم يبقَ طويلاً؛ فقال:

ـ لا تتجاوز الرسم.

ما أجملَ الإنسان عندما يعرف حدودَه ولا يتجاوزها أثناء إسداءِ النُّصْحِ للآخرين، ويدرك تماماً ما هي المواضيعُ التي يمكنُ أنْ يتكلَّمَ فيها.

عندما رمى الرماد

بينما كان أحد الأئمة المشهورين يمشي في بعضِ شوارع القاهرة مع طالبٍ من طلبته؛ فتح أحدهم نافذةَ بيتِهِ فجأةً وألْقى رماداً في الشارع.

نظر طالبُه وكان الإمام الشافعي قد اتسختْ ثيابه، ولكنَّ الإمام لم يقلْ شيئاً للرجل الذي رمى الرماد، بل نفضَ ثيابَه ثم تابعَ سيره، ولكنَّ طالبه سأله:

ـ لماذا لم تقل شيئاً للرجل الذي رمى الرماد؟

ابتسم الإمام وقال:

ـ إذا كنَّا نستحقُّ أنْ نحرقَ بالنار بسبب ذنوبِنَا؛ فهل يحقُّ لنا أنْ نقولَ شيئاً إذا ابتُلينا برمادِهَا.

مازال الإنسانُ يرتكبُ الأخطاء والذنوب، وينكر نِعَمَ الله عليه، ولو نظر الإنسان فقط إلى نعمةِ الماء والهواء لأدرك قيمتَها، عندها لنْ تكفيه ألفُ سجدةٍ في اليوم

لخالِقِهِ، لذلك الأجدى بنا أنْ نطلبَ المغفرةَ والعفوَ من ربِّ العالمين، وهذا ما يليق بالمؤمن الشاكر لربه.

السلطان الحقيقي

كان الخطاط المشهور حافظ عثمان يُدرِّس السلطان مصطفى الثاني، وكان السلطان يُجِلُّ معلمه ويحترمه كثيراً، وذات يوم كانا يتدارسان الخط، وكان هو يمسكُ بالمحبرة ومعلِّمُهُ يكتبُ أحرفاً جميلةً رائعةً، فقال في نفسه:

ـ أعتقد أنَّه لا يوجد أحدٌ يسابق معلمي في براعتِهِ ومهارتِهِ في الخطِّ وكتابةِ هذه الكلمات.

فرد عليه الخطاط حافظ عثمان:

ـ يا مولاي؛ عندما يمسك ملك مثلك لي بالمحبرة فسيكون خطي أجمل بكثير.

إنَّ هؤلاء العلماء بتواضعهم هذا هم في الواقع السلاطين الحقيقيون.

أنا مجرَّد خادمٍ لكم

قال العالم أحمد الرفاعي لطلابه:

ـ إذا رأى أحدُكُم أنَّني قد أخطأتُ أو وجد فيَّ عيباً فلْيُعْلِمنِي.

فقال أحد طلابه:

ـ عندك عيبٌ كبيرٌ يا شيخي.

لم يُفاجأ العالم بجواب طلابه، بل كان يرجو أنْ يعرف ما هو هذا العيب ليتخلَّصَ منه، فسأل الطالب:

ـ قل لي يا أخي ما هو هذا العيب؟

فقال الطالب وقد امتلأتْ عيناه بالدموع:

ـ من كان مثلنا لا يحبُ أنْ يكون طالباً لمثلِ حضرتك يا أستاذ.

أثَّر هذا الكلام الذي قاله الطالب بالموجودين فبدؤوا بالبكاء، وبكى العالم أحمد الرفاعي، وقال:

ـ أنا مجرد خادمٍ لكم وكلُّكُمْ أفضلُ منِّي..!

نعم؛ في الحقيقة ليتَ كلَّ الناس يرون أنفسهم تابعين، وليس متبوعين، ومرؤوسين لا رؤساء، طلاباً لا معلمين.

في كلِّ زمان ومكان.. من المؤلم أنْ نرى أحياناً علماء ربانيين قديرين، ولكن يحيط بهم طلاب لا يقدِّرون قيمة هذا العالم.

يا لهذا البخل!

ذهب أحد المتملِّقين إلى السلطان، وشكى إليه أوضاعَه وأنَّه يعاني من مشكلةٍ كبيرةٍ، فأعطاه السلطان كتاباً!

أخذ الرجل الكتاب وخرج من عند السلطان غاضباً جداً، وهو يقول لنفسه:

ـ يا لهذا البخل! أنا أردتُ نقوداً وهو أعطاني الكتاب، ماذا سأفعل به؟

ذهب إلى البيت وفتح الكتاب وإذ يوجد في أول صفحةٍ منه ذهب! وقَلَبَ الصفحة الثانية وإذ بها أيضاً ذهب!

ـ لقد وضع السلطان في كلِّ صفحةٍ من الكتاب ذهباً...!

لم يصدِّقْ عينيه، وشعر بسعادة غامرةٍ، وبعد مرور الزمن رجع إلى السلطان وقال له:

ـ كم كان الكتاب الذي أعطيتني إياه رائعاً . . يا تُرى ألا يوجد له جزءٌ ثانٍ؟

فأجابه السلطان:

ـ لا؛ لا يوجد . . !

❁ ❁ ❁

من أكثر الأشياء التي لا يعرف الإنسانُ قيمتَها هي العمر والوقت، وكم يوجد من الناس الذين يضيِّعون أوقاتهم بأشياء لا فائدة منها.

في حين لدينا في اليوم أربعٌ وعشرون قطعةً ذهبيةً يجب أنْ نعرف قيمتَها جيداً.

وإذا كان هناك ثمةَ شيءٌ إذا فُقد لنْ يُعوَّضَ في هذه الحياة فهو الوقت.

القصر

كان سلطان بلْخ إبراهيم بن العثم في قصرِه والوزراء والقادة والعلماء حوله، وكان قد أمر بجمع أقدام الأزابك في الديوان، وكان الموضوع هو أنَّ الدراويش يسيئون إلى الدِّين بينما نحن ندافع عن جوهر الدِّين.

وقد نشر السلطان بين الناس أنَّه يوجد بين أقدام الأزابك ذهبٌ، وبعد فترةٍ بدأ الازدحام وبدأ الكلام شيئاً فشيئاً يقترب من السلطان، فسأله أحدهم:

ـ من أنت؟ ماذا تعمل؟ لم أركَ من قبل؟

ـ أنا بلا عمل، بلا بيت، بلا مال، أنام في المكان الذي أصلُ إليه، واليوم أريد أنْ أبيتَ عندك.

غضب السلطان وحاول أنْ يفهمَه أنَّ هنا ليس خاناً إنما هو قصرٌ، ولكنَّ الرجل قال:

ـ أليس هنا خانٌ؟

ـ هنا قصر إبراهيم العثم!

ـ مَنْ كان هنا قبلَ أنْ تأتي أنت؟

ـ أبي.

ـ وقبل أنْ يأتي أبوك؟

ـ أجدادي.

ـ يا سلطان؛ برأيك المكان الذي يأتي إليه الناس فترةً معينةً ويذهبون ثم يأتي غيرهم أليس خاناً؟!

عندما سمع السلطان هذا الكلام لم يعرفْ بماذا يجيب وسكت..!

يجب أنْ يعرفَ الإنسان أنَّ الدنيا دار مرور، وليست دارَ بقاء، ويجب أنْ يعمل طول حياته في الدنيا لأجل دارِ البقاء.

والإنسان الغبيُّ هو الذي يترك كلَّ مالِهِ في هذه الدنيا وكأنَّه يتركُه في الطريق ولا يأخذه معه إلى دار البقاء.

وكما قال أحدهم: الإنسان في حياته بين صدورِ قرارِ موتِهِ وحدوثِ الموت.

الضحكة المبكية

يحكي بديع الزمان: كنت جالساً قربَ نافذةِ السجن في مدينة اسكي شهير، وكان مقابلَ السجن مدرسةٌ ثانويةٌ للبنات، وكانت الفتيات يتراقصن ضاحكات في ساحة المدرسة، ورأيت أنَّ بدل هذه الجنَّة الكاذبة التي يعيشون بها رأيت حرَّ جهنَّم، ورأيتُ كيف ستكون الحال بعد خمسين سنة، ورأيتُ كما لو أنَّ شريطاً يُعرَضُ أمامي.

كيف ستكون حال هؤلاء الفتيات؟ ستصير سعادتُه من وضحكاتُهن بكاءً ودموعاً، خمسونَ فتاةٍ من «الستين» دُفنَّ في التراب ويعانين من العذاب الشديد، فيما العشرة الباقية أصبحن متقدماتٍ بالسن، وقد أَفَلَ الجمال وانضوى الصِّبَا.

كنَّ يحقدن ويكرهن الأشخاص الذين كانوا سبباً في حياتهن التي عشنها هكذا، وقد يكون منهن من رأى

نهايتها التي ستكون على هذا الشكل، حقاً لقد بكيتُ حزناً عليهن كثيراً.

من يدري.. ربَّما لو فكَّر الإنسان كيف ستكون حالهن بعد خمسين أو ستين سنةً لجلس منذ الآن يبكي.

ولا يكفي للنجاة من العاقبة الوخيمة أنْ نتناساها، بل يجب التحضير لها منذ الآن.

لو يعلم

ربط أحد القرويين الثورَ في الحظيرة ثم ذهب لينام، وفي الليل جاء نمرٌ وأكلَ الثور، ثم جلس مكانه.

دخل القروي إلى الحظيرة في الظلام، وأخذ يمسح على الفروِ ظاناً أنه ثوره. فقال النمر في نفسه:

ـ لو كان هناك ضوءٌ في المكان لتوقَّفَ قلب القروي من الخوف، ولو رآني لتعجَّبَ كيف أنَّه لم يلاحظْ أنَّه يمسح جسمَ نمر!

وهذا المسح على ظهري ومداعبتي لأنَّه لا يراني ويظنُّ أنِّي الثور.

لو يرى الناس السُّمَّ على حقيقته أو الذنوبَ بوجهها الحقيقي، ولو يعلمون ما سيلاقِيهم يومَ القيامة من عذابٍ لندموا منذ اليوم ألفَ مرةٍ. . ولحاولوا أنْ لا يرتكبوا الذنوبَ وأنْ يبتعدوا عن المعاصي، ولَجعلوا أنفسهم تعتاد

اختبار الصداقة

أراد أحدُ الأمراء ذاتَ يومٍ اختبارَ مدى إخلاصِ وزرائِهِ، وأيٌّ من الوزراء أكثرُ صدقاً في علاقته معه، وهل هي وثيقةٌ وقوية أمْ أنَّهم عندَ أوَّلِ عقبةٍ صغيرةٍ سيتخلَّون عنه؟

فأرسل إحدى الجواري واتَّفَقَ معها أنْ تحاول إغراءَ مَنْ تستطيع من الوزراء، فوافقت الجارية، واختلفتْ ردَّةُ فعلِ الوزراءِ تجاه تصرفات الجارية، فمنهم مَنْ رأى أنَّها فرصةٌ سانحةٌ فأجاب طلبَهَا، والبعض استنكر تصرّفها. عندها عرف الأمير مَنْ هو المخلص الصادق معه ومَنْ هو خائن!

وهكذا هي الدنيا، وتلك هي الحياة، بعض الناس تغريه بابتسامةٍ صغيرةٍ من جارية جميلة، تنسيه أخلاقَه ومبادئَه، وتجعله يخون سلطانه.

وهؤلاء كانوا يظنُّون أنَّهم سيحصلون على سعادة كبيرة، ولكنَّه عكسَ ذلك برسوبِهم في امتحان الصداقة هذا، ولو أنَّهم أدركوا أنَّهم في امتحان لما حصل هذا، ولَمَا خسروا كثيراً، وأهمُّها ثقةُ أميرهم.

الدنيا مثل البعير

مرض بعيرُ أحدِ الفقراء وهو بالصحراء، ولم تفلح محاولاتُهُ العديدة في إجبار البعير للنهوض، فأنزلَ الحِمْلَ عن ظهرِهِ، وحمَّله على بعيرٍ آخر، ثم تابعوا سيرهم، وما إنْ سارت القافلة تاركةً البعيرَ المريض على الأرض، حتى اجتمع حوله عددٌ من الوحوش، وهم يحومون حوله، ولكنهم لم يقتربوا منه، مما أدهش الذين كانوا في القافلة، فأراد أحدُ المسافرين معرفةَ السرِّ في هذا الأمر، فعادَ إلى الوراء واقتربَ من البعير.

فرأى حولَ عنقِهِ قلادةً مكتوباً عليها أدعية.. اقتربَ منه ونزعَ القلادة وما هي إلا لحظاتٍ حتى هاجمت الوحوشُ البعيرَ ومزقتْه إرباً.

الدُّنيا مثلُ البعيرِ.. والقلادةُ حول عنقِهِ هي حبُّ الله، وهي التي تحمي العباد والعلماء، وتوفرُ لهم السعادة طوال

حياتهم، والشعور بالأمان والاطمئنان، وإذا فُقِدَ حبُّ الله من قلوب العباد؛ عندها ستبدأُ رحلتهم مع الألمِ والعذاب والخوف.

بسبب الشيخوخة..!

ذهب أحدُ المسنِّين إلى الطبيب، وبدأ يُحدِّثُه عن مرضه:

ـ أشعر بوهنٍ شديدٍ أيها الطبيب.

ـ هذا بسبب الشيخوخة.

ـ بسرعةٍ أتأثَّرُ بالبرد.

ـ بسبب الشيخوخة.

ـ عندي سعالٌ شديدٌ.

ـ بسبب الشيخوخة.

ـ أشكو من صداعٍ وطنينٍ في الأُذُن.

ـ بسبب الشيخوخة.

عندها غضب الرجل كثيراً فقال للطبيب:

ـ ماذا يعني هذا؟ كيف تكون طبيباً؟ كلُّ الأعراضِ السابقة سببها الشيخوخة؟!

ـ عفواً يا عم؛ حتى هذه العصبية والغضب الذي يظهر عليك سببه الشيخوخة!

مهما قلتَ أو حاولتَ فلنْ يغيِّرَ هذا شيئاً عند الأشخاصِ ضعيفي الإيمان، ولنْ تشفِ جراحَ مَنْ كان ضعيفَ الإيمانِ أو سيئَ الأخلاق.

تحدي القناعة

عبد الرحمن زابو أحدُ العلماءِ المشهورين، والذين تركوا أثراً كبيراً في التاريخ الإسلامي العظيم. . ينقل عنه أحدُ أصدقائه ـ وكان ضابطاً ـ أنَّه سمع منه ذات مرة هذه الحادثة:

وقع أحدُ الضبَّاط أسيراً لدى الروس في الحرب العالمية الأولى، وكان هذا حول مدينة بيتليس الواقعة في كردستان العراق، وكان بديع الزمان في ذلك الوقت أسيراً في أحد المعتقلات، وفي أحد الأيام جاء أحد الضباط الروس وكان اسمه نيكولا نيكوفيتش لتفتيش الأسرى، وكان الجميعُ مرغمين على الوقوفِ أثناءَ تجوُّلِ الضابطِ الروسيِّ، لكن بديع الزمان لم ينهضْ من مكانِهِ.

لاحظَ الضابطُ الروسيُّ ذلك فعادَ مرةً أخرى، ومرَّ من أمامه ولكنَّ الأميرَ لم يحركْ ساكناً. . عاد الضابطُ مرةً

ثالثةً إلى المكان الذي يجلس فيه بديع الزمان، وخاطبه عن طريق المترجم:

ـ ألا تعرفُ مَنْ أنا؟

أجاب بديع الزمان المترجم:

ـ طبعاً أعرفك.. خال القيصر نيكولا نيكوفيتش، القائد الأعلى لجبهةِ القفقاس.

ـ لماذا هذا التَّصرُّفُ منكَ وأنتَ تعرفُ مَنْ أنا؟

ـ كلا أيها القائد؛ ليس الأمر كما تظنُّ، ولكنني أتصرَّفُ وفْقَ ديني ومعتقدي.

ـ وما هذا الذي تقول.. عمَّ تتحدث؟!

ـ أيها القائد! أنا رجل مسلم، وقلبي ممتلئٌ بالإيمان بالله، والشخصُ المؤمن أفضلُ من الشخصِ غيرِ المؤمن، ولو قمْتُ أنا لشخصٍ غيرِ مؤمنٍ عندها كأنَّني أهنْتُ كلَّ مقدَّساتي ومعتقداتي، لذلك لم أقمْ لك.

ـ هذا يعني أنَّني شخصٌ غيرُ مؤمنٍ بنظرِكَ، وأنت بهذا التَّصنيفِ تهينُ القيصر، وسأحوِّلك إلى المحكمة العسكرية.

أقيمت محكمةٌ عسكريةٌ وقررتْ أنْ يعتذرَ بديعُ الزمان من القائد الروسي، ولكنَّ جوابَ بديع الزمان كان الآتي:

ـ في الحقيقة.. أنا أريد الذهابَ إلى الآخرة، وأنْ أكون إلى جوارِ رسولِ الله ﷺ، ولكنْ يلزمني جوازُ سفر، ولا أستطيعُ أبداً أنْ أفعلَ شيئاً خوفاً على إيماني وعقيدتي.

صدر قرارُ المحكمة بإعدام بديعِ الزمان رمياً بالرصاص، وسمحوا له بخمسِ دقائق يتوضَّأُ ويصلي فيها.

وبينما هو يصلي آخرَ ركعةٍ في حياته جاء القائد الروسي وقال له:

ـ أُبلِّغُكَ اعتذاري.. لقد فهمتُ الآن أنَّك لم تتصرفْ بهذا الشكل لأنَّك تحتقرني، أو تقلِّلُ من احترامي، ولكنْ من أجلِ دينكَ وإيمانكَ ومعتقداتك.. فأنا أشعر بالتقديرِ الكبيرِ والاحترامِ الشديد لتعلُّقِكَ بدينك، أنا آسف لأنَّني أزعجتُكَ، وأعتذرُ مرةً ثانية.

الإيمان نورٌ وقوة.. وإذا كان الإنسانُ صاحبَ عقيدةٍ

وإيمانٍ قويٍّ صادق، يستطيع عندها أنْ يتحدَّى الكون كلَّه.

الموتُ ليس النهايةَ أو العدمَ؛ لكنَّه في الحقيقة بابُ الوصولِ للقاء الحبيب.. الله.

رحلة

كان السلطان سليم في رحلةِ العودة إلى إسطنبول قادماً من مصر، وكان وزيرُهُ يريد أنْ تكون الرحلةُ القادمةُ إلى جزيرةِ رودُوس لتحريرها من القراصنة الذين استولَوا عليها؛ فردَّ عليه السلطان:

ـ هذه الرحلةُ آخرُ رحلةٍ لنا، وبعدَه ستكونُ الرحلةُ إلى الآخرة.

وبعد فترة.. توفِّي السلطان سليم رَحِمَهُ اللهُ.

ما أجملَ أنْ يكونَ السلطانُ سلطاناً في الدنيا وسلطاناً في الآخرة.

ونحن أمامَنا سفرٌ طويل.. نحن على وشكِ الانطلاق إلى القبر، ومن القبرِ إلى الحشر، ومن موقف الحشر إلى الدار الأبدية.

إبراهيم العثم والإبرة

أصدرَ إبراهيم العثم أمراً بإقالة أحدِ الولاة، وأرسل في استدعائه من مدينة بلْخ.

وذات يومٍ كان إبراهيم العثم يمشي على الشاطئ فرأى الواليَ جالساً وهو يخيطُ قميصَهُ؛ فسأله:

ـ ما هذا الذي في يدك؟!

ـ إبرةٌ وخيطٌ.

ـ لقد كنتَ في وقتٍ ما تقطعُ الجبل بالسيف، ألم يبقَ لك عملٌ غير هذه الإبرة؟!

ـ هذه الإبرة أكثرُ قوةً من السيف، سأجمعُ بواسطةِ هذه الإبرة عدةَ نجومٍ لي إذا أذنَ الله لي بذلك.

ـ هذا يعني أنَّ الإبرة لها كرامة؟!

قال إبراهيم هذا الكلامَ وخطفَ الإبرةَ من يد الوالي، ورماها في البحر، وقال:

ـ أيُّها السمك؛ آتوني بالإبرة:

وما هي إلا لحظاتٌ حتى جاءت سمكةٌ وبفمها الإبرة!

ـ كنت أريد أنْ لا يعرف ذلك أحدٌ، ولكنْ بدون أنْ أعلم لقد بدأتُ بخياطة كفني.

ـ إلى أين أنت ذاهبٌ؟

إلى القصر، إلى حيث يكونُ الثوب الأبيض والهواء والشمس والراحة والهدوء، ومن الضِّيقِ إلى السَّعَة.

في الحقيقة.. جنَّةُ الإنسان ليستْ في هذه الدنيا الفانية، ومن غير المعقول أنْ تكون جنَّةُ الأرض هي هذه الدنيا، والتي سنغادرها يوماً ما، إنَّما هي في الحقيقة جنَّةُ الآخرة «جنَّة الخلود».

في عزاء طفل

دخل رجل السجنَ ومعه طفلٌ صغير، وكان وجودُ هذا الطفلِ معه يسبب له مشاكلَ كثيرة.

من ناحية؛ إنَّ رعاية طفلٍ بالنسبة لرجلٍ مثلِهِ في هذه الظروف كان شيئاً صعباً جداً.

ومن ناحية أخرى؛ إنَّ السجن غيرُ مهيَّأٍ لوجودِ طفلٍ فيه من كلِّ الجوانب الاجتماعية والصحية والنفسية.

وصلَ خبرُ هذا الطفلِ إلى مسامعِ السلطان، فرقَّ قلبُهُ لحالِهِ، وقرَّرَ أنْ يأتيَ به إلى القصر لينشأَ في كنفِهِ وتحتَ رعايتِهِ، وأرسلَ رجلاً إلى السجن لجلْبِ الطفل، ولكنَّ الأب رفضَ أنْ يبتعدَ الطفل عنه، ولم يقبلْ بذهابِ ابنه إلى القصر.

دُهش أصدقاءُ الرجل من موقفِهِ واستنكروا منه ذلك الرفض، وقال له أحدهم ناصحاً:

ـ يا صديقي؛ أنتَ تتصرَّفُ بأنانيةٍ مفرطةٍ في هذا الموضوع، لأنَّكَ تفكِّر في نفسك فقط، ولكنَّك لو فكَّرتَ في مصلحةِ هذا الطفل، لَمَا تردَّدْتَ لحظةً واحدةً في إرساله.

إنَّ ابنَكَ سينتقلُ إلى أجواء مناسبةٍ لتربيته مادياً واجتماعياً وصحياً، وسيكون تحت رعايةِ السلطان شخصياً، وسيتَلقَّى التعليمَ المناسب عندما يكبُرُ قليلاً.

وربما يطلب عندها أنْ يراك، ومن الطبيعي أنَّ الملك لنْ يرسلَه إلى السجن، حتى لا يشاهد حالَتَك.. سيرسل في طلبِكَ لتُكْمِلَ حياتَكَ مع ولدِكِ هناك في القصر، وبذلك تكون قد نجوتَ أنت وابنَكَ من هذا السجن.

فكَّرَ الرجل مليّاً في كلام صديقه، ووافق أخيراً على إرسال الطفل إلى القصر.

كان بديع الزمان في مجلسِ عزاءِ أحدِ الأطفال، وكان يروي تلك القصة، وعندما انتهى من روايتها قال:

ـ يوجد أحاديثُ صحيحةٌ عن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ أنَّ الأطفالَ إذا ماتوا قبل سنِّ

التكليف فسيدخلون الجنة، ويطلبونَ رؤيةَ آبائِهِم وأمَّهاتهم، وبالطبع لنْ يرسلهم الله ﷻ إلى جهنم لرؤيتِهِمْ؛ بل ستقتضي رحمةُ مولانا ﷻ أنْ يأتيَ بهم إلى الجنة ليعيشوا مع أولادهم.

الهروب من القدر

كان سيدنا سليمان جالساً ذات يومٍ في مجلسِهِ يقابل الناس؛ وإذ برجلٍ يقتحم عليه المجلسَ وهو راكضٌ، ولونه شاحبٌ، وجسده يتصبَّبُ عرقاً، يرتجف من الخوف.

دُهش سيدنا سليمان وسأل الرجل:

ـ ماذا جرى لك أيُّها الرجل؟ وما الذي أوصلَكَ إلى هذه الحال؟

أجاب الرجل وفرائصُهُ ترتعدُ من الخوف:

ـ لقد قابلتُ عزرائيل منذ قليل، وعندما رآني نظرَ إليَّ نظرةً غريبة، وأخذ يتأمَّلُني طويلاً.

ـ حسناً؛ وما الذي تريدُه منِّي الآن؟!

ـ أرجوك أيها الملك العادل؛ أريدك أنْ تأمرَ الرِّيح فتأخذَني إلى الهند، وتتركَني على جزيرةٍ هناك، لا يعلم بخبري أحد، وبذلك أنجو من المَلَك عزرائيل!

أمر سليمان عليه السلام الريحَ أنْ تأخذَ الرجلَ إلى المكان الذي يريده، وهناك تركتْهُ في جزيرةٍ معزولةٍ في الهند.

وفي اليوم التالي جاءَ عزرائيل إلى سيدنا سليمان، فتذكَّرَ قصةَ الرجل فسأله:

ـ لماذا كنتَ تنظرُ إليه بهذا الشكل؟ لقد أثَرْتَ رُعْبَه.

ـ يا مولاي؛ أنا لم أنظرْ إليه لشيءٍ فيه، ولكنني كنتُ أعجبُ من أمرِهِ؛ لأنَّ الله تعالى أصدَرَ أمرَهُ بأنْ أقبضَ روحه في الهند!

وعندما رأيتُهُ هنا عجبتُ وقلت في نفسي: لو كان له مئةُ جناحٍ لن يستطيعَ الوصولَ إلى هناك في يومٍ واحد، ولدهشتي ذهبتُ إلى هناك وقبضتُ روحه.

إذا اعتمد الإنسان على تفكيرِهِ القاصر في فهمِهِ للأمور التي تحدث له في الدنيا، سيكتشف أنَّ إرادَتَه محدودةٌ وتفكيرَه قاصر، وسيشعرُ بعجزه الشديد، عندها سيقبلُ بما قدَّره الله له، وسيرضى بنصيبِهِ من الدنيا.

ليقُل القدرُ كلمَته

كان السلطان محمد الفاتح في طفولتِهِ مشاغباً كثير الحركة، وذات يومٍ نَهَرَهُ والده السلطان مراد الثاني قائلاً:

ـ لا أدري كيف سيصبح ولدٌ مثلك رجلاً يُعتمَدُ عليه في المستقبل؟

كان في المجلس الشيخ شمسُ الدين يراقبُ حركاتِ وتصرُّفاتِ الطفل، وكان ببصيرته الثاقبة يرى في هذا الطفل ما لا يراه الوالد؛ فقال في نفسه:

ـ ليقل الآباءُ كلمتَهمْ.. ولْيقل القدرُ كلمتَهُ.

للقدرِ سنَّتُهُ وقواعدُه، ويظهر جمالُ كلِّ شيءٍ في احترامِ هذه السنن والقواعد.

كلُّ شيءٍ في هذه الدنيا يحدثُ كما كتبَ الله في علْمِهِ الأزليِّ، وذلك سيحدث إنْ رغب الإنسان ذلك أم لم يرغبْ، إنْ توقَّعَ حدوث ذلك أم لم يتوقعْ.

ستحلُّ به المصيبة

قال أحد الرجال وهو قادمٌ إلى سيدنا موسى عليه السلام:

ـ أرجوك يا موسى؛ أنْ تدعوَ الله لي أنْ يجعلَني أفهم لغةَ الحيوانات، إذا حدث هذا فسأتعلَّمُ منها كثيراً وسأصبح رجلاً صالحاً.

دُهش سيدنا موسى وتعجَّبَ لطلب الرجلِ وقال له:

ـ أيها الرجل؛ اذهبْ واهتمَّ بعملك، إنَّ الله خلقَكَ على هذه الحال لأنَّ هذا هو الأفضل لك، ولا تطلبْ من الله شيئاً لن تستطيعَ أنْ تتحمَّله.

ولكنَّ الرجل لم يستمعْ إلى نصيحة سيدنا موسى، وقال:

ـ أرجوك يا موسى؛ ادعُ الله لي أنْ أفهمَ على الأقل ما يتكلَّمُ به الديك والكلب اللذان أملكُهما!

وتحت إصراره الشديد دعا موسى عليه السلام الله تعالى أنْ يعطي السائل ما يريد.

غادر الرجل مجلسَ سيدنا موسى وهو سعيد، وعاد إلى بيته، وفي الصباح التالي، وبينما كان الخادم يجهز طعامَ الإفطار لسيدِهِ وقعتْ قطعةٌ على الأرض، فأسرع الديك والتقطَهَا فنَهَرَهُ الكلب قائلاً:

ـ هل يليق بك أنْ تفعل ذلك، تستطيع أنتَ أنْ تأكلَ القمح والشعير، ولكنْ أنا لا أستطيع أنْ آكل سوى الخبز.

ـ أنت على حقٍّ، ولكنْ لا تقلق، غداً سيموت حمارُ سيدنا، وستملأ بطنَك طعاماً.

عند سماع الرجل لهذا الكلام.. أخذ الرجل حمارَه إلى السوق وباعه.

وفي اليوم التالي اقترب الرجل من الكلب والديك للاستماعِ إلى كلامِهِمَا، فوجد الكلب يعاتب الديك ويؤنِّبُه:

ـ ألمْ تقلْ لي البارحة أنَّ حمارَ سيدنا سيموت، ولكنْ لم يحدثْ شيءٌ من ذلك.

ـ لقد مات الحمار ولكن في مكانٍ آخر، ولكن لا تقلق؛ في الغد سيموتُ حصانُ سيدنا، وسيكون الطعام كثيراً، فلا داعي للقلق.

أسرع الرجل واقتادَ الحصان إلى السوق وباعه ثم عاد إلى البيت وهو يشعر بأنه محظوظٌ لأنَّه نجا من خسارةٍ كبيرة!

وكعادته كلَّ يوم جلس في مكان يستطيع أنْ يستمع فيه إلى كلام الديك والكلب، فوجد الكلب غاضباً وهو يكلِّم الديك ويتَّهمه بالكذب، فردَّ عليه الديك:

ـ أنا لم أكذبْ عليك ولكنَّ الحصان مات في مكانٍ بعيد، ولكن لا تقلق؛ غداً سيموت خادمُ سيدنا، وعندها سيكون الطعام كثيراً، وسيكون هناك حلوى أيضاً، وسنشبع كلُّنا.

لم يتردَّد الرجل لحظةً واحدةً، واقتاد خادمَه إلى السوق وباعه وعاد إلى البيت.

في اليوم التالي بينما كان يحاول الاقترابَ من الديك والكلب، سمع صوتَ الكلب وهو يؤنِّبُ الديك ويوبِّخُه وكان غاضباً جداً، ويتَّهمه بأنَّه منذ أيام وهو يكذب عليه، وهو لسذاجتِهِ يصدِّقُهُ، ولكنَّه إلى الآن لَمْ يدخل شيءٌ إلى معدتِهِ، فردَّ عليه الديك:

ـ أنا لستُ كاذباً، وأنا لم أكذبْ في حياتي، هذه المرة أيضاً مات الخادم ولكن ليس في هذا البيت.

وأطرق الديك بُرْهةً قصيرة ثم تابع قائلاً:

ـ كان هناك بلاءٌ سيحلُّ على هذا البيت، وسيقعُ على الحمار، ولكنَّ سيدي باعه، ثم كان سيقعُ على الحصان، ولكنَّ سيدي باعه، ثم كان سيقع على الخادم، ولكنَّ سيدي أسرع وباعه، لم يبقَ الآن في البيتِ إلا سيدي؛ لذلك لنْ ينجوَ سيدُنا هذه المرة، سيموت في الغد، ومن المؤكد سنملأُ بطونَنا هذه المرة.

انهارَ الرجل عند سماعِ هذا الكلام، وشعر أنَّ الدنيا تدور من حوله، وأدركَ الآن أنَّه لن يستطيعَ أنْ يفعلَ شيئاً هذه المرة.

في داخلِ كلِّ مصيبةٍ تحدث للإنسان يكون فيها خيرٌ له، وإنَّ كثيراً من المصائب التي تحدث للإنسان تكون لدفْعِ مصيبةٍ أكبر.

من الممكن أنْ نرى الخيرَ شراً، وأنْ نرى الشرَّ خيراً، لأنَّنا لا يمكننا في كلِّ مرةٍ بعقلِنَا المحدود، وإدراكِنَا

القاصر أنْ نفهمَ الحكمةَ من كلِّ الأحداثِ التي تحدث لنا.

ولا ننسى أنَّه في كلِّ زمانٍ أن الصدقة دافعةٌ للبلاء، وكلُّ نعمةٍ أعطاها الله لنا تجب عليها الصدقة؛ كالعلم، والمال، والصحة، والقوة، والوقت.

القبطان والنحوي

صعد نحْويٌّ على متن سفينةٍ وسأل القبطان:

ـ أيها القبطان! هل تعرف علمَ النحو؟

قال البحار:

ـ لا؛ لا أعرفه.

قال النحْوي ضاحكاً:

ـ هذا يعني أنَّ نصفَ عمرك قد ذهب سدىً.

غضب البحار لِمَا قاله النحوي، ولكنَّه لم يقلْ شيئاً ولم يجاوبْه بشيء.

هجمتْ بعد ذلك عاصفةٌ قويةٌ، ووضعت السفينة وسط دوامة، خاف النحْويُّ وجلس في أحد زوايا السفينة يرتجفُ خوفاً؛ نادى عليه البحار وسأله:

ـ أيها النحوي! هل تعرف السباحة؟

ـ لا؛ لا أعرف.

ضحك البحار وقال:

ـ يا لَكَ من مسكين؛ لقد ضاعَ عمرك كلُّه إذاً، لأنَّنا لنْ ننجوَ من هذه العاصفة.. سنغرق.

لا شكَّ أنَّ الإنسان يجب عليه معرفةُ العلوم الدنيوية، ولكن بمعرفته للعلوم الدينية يستطيع النظرَ إلى جمالِ الكون من حوله، وإلى الحقائق وإيجادِ الحلول لأسئلته، وإلا إذا أنقذَ نصفَ حياتِهِ في الدنيا فسيغرقُ مطلقاً في الآخرة.

الحكم على السلطان

كان لسلطانِ خراسان محمد علاء الدين بنتٌ فاضلةٌ من جميع النواحي، وكان السلطان قلقاً من عدم قدرتِهِ على إيجادِ العون المناسب لابنته من حيث السلطةُ والمؤهلاتُ المناسبة، فقام باستشارة وزيرِهِ في أحد الأيام:

ـ ماذا على الملكة أنْ تفعل إذا لم نجدْ لها عوناً مناسباً؟

كان الوزير شخصاً حكيماً لا يتردَّدُ في قول أفكارِهِ براحةٍ وثقةٍ، فأجابه:

ـ الفقهاء الحكماء السببُ وراءَ العدل والتوازن الذي كان يتمتع فيه سلاطين الإسلام، فلكلِّ سلطانٍ فقيهٌ يحكمُهُ، لأنَّ السلاطين يحكمون الناس، والفقهاء يحكمون السلاطين.

ثم قال الوزير:

ـ برأيك؟ أين هم هؤلاء الفقهاء الذين يتمتَّعون بكلِّ هذا العلم والحكمة؟

لقد أعطى جوابَ هذا السؤال أحدُ أحفاد الخليفة أبي بكر، جلال الدين حسين الخطيب قائلاً:

ـ كان الأنبياء مكلَّفين بإعلاء كلمةِ الحقِّ ونشرها، لم يحتاجوا لأحدٍ ولم تكنْ تُهِمُّهُمْ تلك الأمور الدنيوية من مكانةٍ ومظاهرَ، بل كانت لا تعنيهم شيئاً، كانوا يؤدُّون دورهم الإرشاديَّ على أكملِ وجه.

تعظيمُ الفقهاء من قِبَلِ السلاطين عادةٌ متوارثةٌ جاءت من الماضي واستمرت إلى الآن، فللعلمِ والمعرفةِ مكانةٌ عظيمةٌ يقف الكلُّ ـ حتى السلاطين ـ أمامها منحنياً.

أن تكون عارفاً

سأل الحقُّ صديقه:

ـ أيُّها الحقُّ؛ أتعرفُ مَن هو العالم؟

ـ نعم؛ هو الذي يعرف ما نعرفه.

ـ إذاً من هو العارف؟

ـ هو الذي يعرف ما لا نعرفه.

أُفُقُ المعرفة ليس له نهاية؛ أنْ تكون عالماً شيءٌ جميل، ولكنْ أنْ تكونَ عارفاً هو أكثر جمالاً، فكلَّمَا تعلمْتَ شيئاً جديداً ستدرك عجزكَ وستتعلمُ أكثرَ وأكثر.

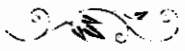

اللياقة والجدية

قام السلطان محمد الفاتح بإنشاء (16) مدرسةً ومكتبةً وجامعةً كعمل خيريٍّ مجانيٍّ لتوفير العلم لمن يطلبه، بعد ذلك قام بإنشاء المحلات الصغيرة، وسكن الطلاب، وحمامات السوق بالقرب منها لتلبية نفقاتها.. ذهب في يومٍ من الأيام لتفقُّدِ الجامعة وزيارة كادرِ المعلمين هناك، وأثناء حديثهم قال:

ـ أيُّها المعلمون؛ أرجو منكم تخصيصَ غرفةٍ لي في الجامعة لأنَّني سآتي إليها بين الحين والآخر عندما أجد الوقت، لأطَّلِعَ على آخرِ مستجدات العلم ولتكون لي مساهمتي فيها أيضاً.

أجابه رئيس المعلمين:

ـ أيُّها السلطان؛ حتى نخصِّصَ لك غرفةً في هذه الجامعة يجب أنْ تكون معلماً وتلقي دروساً فيها، وعلى

حدِّ علمي ليس لديك من العلم والمعرفة الكافي لذلك، لذلك لا يمكننا أنْ نخصِّصَ لك غرفةً في جامعتنا!

ولكنَّ السلطان رغم مكانتِهِ سأل المعلم وبكلِّ تواضع:

ـ حسناً؛ حتى أتمكَّنَ من أخذ الغرفة ما الذي يجب عليَّ فعلُه؟

ـ ستقوم هيئةٌ من المعلمين بإجراءِ امتحانٍ لك، وإذا وجدتْ أنَّ لديك المعرفةَ الكافيةَ ستخصِّصُ لك بالتأكيد غرفةً لديها، وستصبح واحداً من معلِّمي هذه الجامعة.

أجرى السلطان الفاتح الامتحانَ ونجحَ فيه وأخذَ الغرفة التي استحقَّها.

يجب أنْ يكونَ المعلم مستحقّاً لمنصبِهِ وأنْ يكون جاداً في عمله.

السلطانُ سلطانٌ فقط في ساعات عمله، أما خارجها فهو مواطنٌ عاديٌّ مثله مثل بقية الشعب لا يختلف عنهم بشيء.

إذا أردتَ النجاةَ

كان أحد التجار ينوي الذهاب إلى الهند لجلْبِ بضاعة، ولكن قبل ذهابه سألَ عائلته وعمَّاله وجواريه فرداً فرداً حتى ببغاءَه لم ينسَ أن يسأله:

ـ ماذا تريدون من هناك لأجلبَه لكم؟

كلٌّ شخصٍ ذكر شيئاً.. ثم نظر إلى الببغاء وقال له:

ـ يا طائري الجميل؛ أخبرني ماذا تريد لأحضرَهُ لك من الهند؟

أجابه الببغاء:

ـ لا أريد منك سوى أنْ تبلِّغَ سلامي للببغاوات هناك وتشرحَ لهم حالي، كيف سُلبَتْ منِّي حريتي داخلَ هذا القفص، وعن رغبتي بالطيران بحريَّةٍ مثلهم تماماً، حتى أعيشَ لحظةَ سعادةٍ بخيالي هذا، أرجوك أخبرهم، لا تنسَ. ولا أريد منك شيئاً آخر.

خرج التاجر في رحلته مع قافلتِهِ، ومرت الأيام ووصل إلى الهند، بعد ذلك رأى سرباً من الببغاوات تقف على صخرة منتظرةً، اقترب منها وأخبرها من أين جاء ومَنْ يكون، وأوصلَ بعد ذلك سلامَ الببغاء لهم، وأخبرهم بالضبط عما قاله.

عندما أنهى التاجر حديثَه بدأ أحدُ الببغاوات بالرَّجَفان وسقطَ أرضاً، فندم التاجر على ما قاله.

ـ ما الذي فعلتُهُ يا إلهي؛ لقد كان من أقارب ببغائي على الأغلب، يا لغبائي! لم يكنْ يجب أنْ أخبرَه بهذه الطريقة، لقد تسبَّبْتُ بموتِ هذا الببغاء المسكين.

مرَّ الزمان على هذه الحادثة، وانتهى التاجر من عمله، وحان وقت عودته.. أحضر لكلِّ شخصٍ ما طلبه، ولكنَّه لم يمرَّ بجانب الببغاء، لم يتحملِ الببغاءُ أكثر فاقتربَ منه وسأله:

ـ أخبرني ماذا حصل معك لأفرحَ أنا أيضاً.

لم يُرِد التاجرُ التَّحدُّثَ، وقال للببغاء:

ـ ستحزن إذا أخبرتك.

ولكن الببغاء أصرَّ على معرفة ما حدث.

ـ لقد ذهبتُ إلى المكان الذي شرحتَهُ لي، وأخبرتُ الببغاوات بقصتك.

وبينما كان التاجر يقصُّ عليه ما حصل معه أثناءَ رحلته بدأ الببغاء بالرَّجَفانِ وسقط أرضاً هو أيضاً!

ـ يا إلهي؛ ما الذي فعلتُهُ مجدَّداً، لقد تسبَّبْتُ بموتِ هذا الببغاء المسكين أيضاً.

أخرج الببغاء من القفص ووضعَهُ على طرف النافذة، فبدأَ الببغاء بالحركةِ وطار سريعاً إلى غصنِ الشجرة.

ـ أيها الطائر الجميل! لقد خدعْتَني.

ـ يا سيدي؛ لقد شرحتُ للببغاوات حالي، وهم قالوا لي: إذا أردْتَ النجاة تظاهر بالموت، وهذا ما فعلتُهُ.

نعم؛ تستطيع النفسُ الميتة النجاةَ من ألف قفص، وبهذه القصة يمكننا أخْذُ عبرةٍ أنَّ الإنسان لا ينتهي حتى يكتشفَ كنزَهُ.

عيبٌ في التربة

أرسل الله ﷻ جبريلَ إلى الأرض لإحضارِ ترابٍ خاصٍّ لخلْق آدم.

قالت التربة:

ـ أعلن توبتي إلى الله تعالى فليسَ لي القدرةُ على رؤيتِهِ وأنا بهذه الحالة.

لم يأخذْها جبريلُ إلى الله ﷻ وشرحَ ما حصلَ معه بالتفصيل.

أرسل الله بعد ذلك ميكائيل، ولكنَّ التربة قالت له الشيء نفسه، ولم يأخذْهَا أيضاً، بعد ذلك أرسل الله عزرائيل، ولكنَّ عزرائيل قال للتربة:

ـ أنا أيضاً سأخجلُ من الله إذا لم ألبِّ طلبَهُ.

وأخذها، ثم ينقل لنا الملك عزرائيل خطاب الله سبحانه له:

ـ أمَا زالت التربة خَجِلةً من عيبِهَا أمامي؟

ـ نعم؛ ولكنْ أحضرتُها خوفاً من ألا ألبِّي طلبك.

ـ وأنا الآن أطلب منك أنْ تعيدَها مكانَها!

كلُّ مخلوقٍ ليس معصوماً عن الخطأ، ولكنه عندما يتوب إلى الله ويلجأُ إليه فإنَّ الله سيعفو عنه.

أن تكون من الأفضلية

سأل رجلٌ سيدتَنَا عائشة رضي الله عنها:

ـ يا أمَّنا الفاضلة؛ كيف للإنسان أنْ يعرف أنَّه من الأفضلية؟

قالت له سيدتنا عائشة:

ـ عندما يعرف أنَّه من بين الأسوأ!

ـ وكيف له أنْ يعرفَ أنَّه من بين الأسوأ؟

ـ عندما يرى نفسَهُ أنَّه جيد!

كلماتُ بديع الزمان أفضلُ مثالٍ توضيحيٍّ لذلك:

«لو جاء العالَمُ بأجمع لجانبي وقال لي: إنك جيد؛ فلنْ أصدِّقَ ذلك».

يجب أنْ يرى الإنسان أخطاءَهُ كبيرةً مهما كانت صغيرة، وألا يسامح نفسَهُ لافتعالها أمامَ الله ﷻ، هناك مقولةٌ أجنبيةٌ تقول: «هناك نوعان من الناس، الأوَّلُ السيئ

الذي يعرف نفسه جيداً، والآخر الجيد الذي لا يعرفُ نفسه جيداً».

الذنب

سأل سيريوس سيكاتي الشيخ:

ـ يا شيخ؛ ألم ترتكبْ ذنباً أبداً في حياتك؟!

ـ لقد أوشكتُ مرةً على افتعالِ ذنب، وعندما أتذكَّرُ ذلك أشعرُ وكأنَّ قلبي سيتوقَّفُ.

أثار جواب الشيخ فضولَه، فسأله:

ـ وما هو هذا الذنب الذي اقترفتَه؟!

ـ قبل ثلاثين سنةً كان هناك حريقٌ كبيرٌ في مدينة بغداد أصاب السوق بكامله، ولكنْ لم يقتربْ من دكاني ولم يصبْه بأذى، وعندما أخبرني جيراني في السوق بأنَّ دكاني خرج سالماً من الحريق، فرحتُ وحمدتُ الله على ذلك.

ولكنِّي خجلتُ من نفسي بعد ذلك لأنَّني كنتُ أنانياً، وفكَّرت بنفسي للحظةٍ ونسيتُ أمرَ المتضرِّرين من الحريق من جيراني، ولكنِّي بعد ذلك استغفرتُ الله على الفور

لفعلتِي هذه، وقمتُ بتوزيعِ بضاعتِي التي نَجَتْ من الحريق على الفقراء والمساكين، ولكنْ بعد مرورِ ثلاثين عاماً على هذه الحادثة الأليمة، وإلى الآن لم أنسَ ذنبي هذا.

عدمُ الاكتراث لحزْنِ الآخرين، وأنْ تفكِّرَ بنفسك فقط أنانية؛ ولكنْ أنْ تحمدَ الله وتشكرَهُ على نجاتِكَ ليس خطأً، ولكنَّ الخطأَ عندما تفكِّر أنَّ نجاتَكَ من المصيبة وحدَكَ يعني أنَّك أفضلُ من غيرك.

من الممكنِ أنْ يخطئَ الإنسان، ومن الممكنِ أنْ يذنبَ؛ فهو بالنهاية ليسَ معصوماً عن الخطأ، ولكنَّ المهمَّ أنْ تعترفَ بذنبكَ وتتوبَ إلى الله تعالى.

وسيلة نقل

سُئل نجيب فاضل:

ـ أستاذ؛ أليسَ لديكَ وسيلةُ نقلٍ خاصَّةٌ بك؟

ولكنْ كان في جوابِهِ الحكمة والعبرة:

ـ سأركبُها في آخر يومٍ لي.

في قصيدة العيد:

«الـمـوت عـيـدٌ عـلـى الـمـيـت

ففي العيدِ فرحةٌ لا تعادلُهَا فرحة»

في العيد يوجد ذلك الحصانُ الخشبيُّ الذي نركبه:

ـ أتمنَّى لو أنَّه عاشَ العيدَ في موته.

الوجه الأسود

مرَّ طفلٌ بجانب عازفِ النَّاي «نيزان توفيق» وقال له:

ـ أتريدُ منِّي تلميعَ حذائك؟

أخرج توفيق من جيبه مقداراً من النقود، وأعطاها للطفل، واستلقى بعدها أرضاً على ظهره، وقال للطفل:

ـ تعال ولمِّعْ وجْهِي!

ذهب بعد ذلك توفيق إلى القرية، رآه أحمد وهو بهذه الحالة وقال له:

ـ ما الذي أصابك؟ هل تلعبُ دوراً في مسرحية الانتقام (عطيل)؟

ضحك توفيق وقال:

ـ هناك بعضُ المواقف التي يحنُّ قلبكَ لها، وتُسوِّدُ وجهَكَ، وتجعلك تشعرُ بالإحراج.

ويروي بعد ذلك حكاية الطفل ويقول:

ـ أردْتُ أنْ أرى عظمةَ هذا الكون لوهلة.. أشكرُ الله كثيراً أنَّ وجهِي الذي اسودَّ وليس قلبي.

يلمع الإنسانُ بإيمانِهِ عبادتِهِ وأخلاقِهِ، فطلاءُ الخير نورٌ، وطلاءُ الشرِّ متسخٌ، فقد قال يونس في مقولته قاصداً هذا:

«لن يبهت لوني بعد الآن»، فالذنوب والأخطاء تسوِّد قلب الإنسان، ولكنَّ الدعاءَ والتوبةَ والمسامحةَ تستطيع مسح كل البقع المتسخة في القلوب.

عشقُ الصَّلاة

قام رجلٌ بطعن سيدنا عمر في ظهره بينما كان يؤدي صلاته، ولكنَّه أصرَّ على إكمال صلاته، رغم أنَّ كلَّ مَن كان يقف بجانبه أخذ يقول له:

ـ لا يمكنك أنْ تُكْمِلَ صلاتَكَ وأنتَ بهذه الحالة.

بدأ يفقد وعيه ودخل في غيبوبةٍ، حاول من حوله إيقاظَه ولكنْ لم ينجحوا.. دخل بعد ذلك صحابيٌّ شابٌّ «مظفَّرُ بنُ محرم»، قالوا له:

ـ لا نستطيع إيقاظَ الخليفة.

كان عمره صغيراً، ولكنَّه كان يفهمُ الخليفةَ جيداً.

نادوا أميرَ المؤمنين إلى الصلاة.

ـ الصلاةَ يا أميرَ المؤمنين.

رغم ما كان يشعر به من ألم إلا أنَّه استجابَ لنداء الصلاة.

كان فتح الله غولان يعلِّق على هذا الحديث قائلاً:

ـ إذا كان كلٌّ واحدٍ منَّا يصغي إلى نداء الصلاة مثل عمر، فسنسير جميعاً في الطريق الصحيح إلى الله.

هذا كان عشقُ أميرِ المؤمنين للصلاة.

فك القيود

عندما كان بديع الزمان يقيم في مدينة ماردين كان يُعرَفُ بالمولى سعيد، كانت الحياة في ماردين مضطربةً آنذاك، فقد كانت تعيش أحداثاً صعبة؛ تمَّ أسرُ المولى سعيد في تلك الفترة، وبينما كان يمرُّ بجانب محافظةِ الأحمدية جاء وقت الصلاة، فطلب فكَّ قيودِهِ حتى يتمكن من أداء الصلاة، ولكنَّ الجنود لم يقبلوا بذلك.

فجأةً تُحَلُّ القيود من نفسها وتسقط أرضاً! يقف الجنودُ في دهشةٍ مما حدث، وأمام قدرة الله على إنقاذ عبده يؤدُّون الصلاة جميعاً مع المولى سعيد، ويقولون:

ـ لقد كنَّا الآمرَ الناهي عليكم، لكنَّنَا الآن في خدمتكم.

وبعد تلك الحادثة كان بديع الزمان كلَّما سُئِلَ يقول:

ـ ما حصلَ كان بفضل الصلاة.

عندما تكون قريباً من الله فسيخلِّصُكَ من أكبرِ المصائب وأشدِّها.

لا تقطع صلاتك

كان علي زانبيلي يذهب إلى صلاةِ الفجر إلى جامع بيازيد لإقامة الصلاة؛ قال يوماً:

ـ أيُّها المسلمون؛ هناك صفاتٌ خاصةٌ بالإمام الذي سيؤمُّنَا، ولكنْ أيُّ واحدةٍ ستعطى الأولوية على الأخرى؟ لا أحد منا يعلم؛ لذلك سأطلب منكم طلباً واحداً:

أيُّ واحدٍ منكم لم يتركْ ولا حتى صلاةً واحدةً منذ سنِّ البلوغ إلى الآن فليتفضَّلْ إلى المحراب ويؤمَّنَا.

عمَّ الصمت الأجواء، ولم يتحركْ أحدٌ إلى أن اتَّجَهَ أحدُهم وسط دهشةِ الجميع وقال:

ـ الحمد لله حمداً كثيراً؛ فلم أتركْ صلاتي يوماً لا في مرضٍ ولا في سفر.

توجَّه إلى المحراب ورفع يديه وقال:

ـ الله أكبر.

لقد كان الإمام بيازيد الثاني.

كيف تكون الأمَّةُ يكون إمَامُها.

الأسد

تتباهى الحيوانات فيما بينها بعدد الأطفال التي تلدها؛ فمنها ما تلد ثلاثةً، ومنها ما قد تلد خمسةً، حتى البعض قد يلد عشراً في مرة واحدة!

سئل الأسد مرةً عن عدد أطفاله فقال:

ـ واحد؛ ولكنه أسد.

ليس المهم عدد أطفالك بقدْرِ ما هي قيمتُهم؛ أنْ تربِّيهم بشكلٍ جيد ليكونوا نتاجاً جيداً في المجتمع، وأنْ يملكوا أخلاقاً حميدة، فالأجيال بحاجةٍ لأمثالٍ جيدة.

العمل

كان للسلطان محمود خادمٌ يُدعى إياز. سأله أحد الخدم:

ـ ماذا يميز إياز عنَّا حتى تعطيَه راتباً أكثر؟!

في تلك اللحظة لم يجب السلطان محمود على هذا السؤال، وبعد بضعة أيامٍ خرج معهم إلى الصيد، وهم في طريقهم مرَّت قافلةٌ، فطلب السلطان من أحدِ السادة الذهابَ وسؤالَ القافلة عن المكان الذي جاءت منه، فذهب وسألهم وعاد للسلطان وقال:

ـ أيُّها السلطان؛ لقد جاؤوا من الرياض.

ولكنَّ السلطان سأله:

ـ وإلى أين يتَّجِهون؟

وقف صامتاً لأنَّه لم يسألْهم عن ذلك.

أرسل السلطان شخصاً ثانياً ليسألَهم عن وِجْهَتِهِمْ.. سألهم وعاد:

- إنَّهم متَّجهون إلى اليمن.

ولكنَّ السلطان سأله:

- وماذا لديهم من حُمولة؟

وقف صامتاً، فهو لا يملك الجواب على هذا السؤال، ثم أرسل السلطان شخصاً آخرَ للسؤال عن الحُمولة.

عاد وشرح له عن الحُمولةِ بالتفصيل، ولكنَّ السلطان سأله:

- في أيِّ ساعةٍ خرجوا من الرياض؟

لم يكن يملك الجواب كالبقية تماماً.

واستمر السلطان في إرسال ثلاثين خادماً إلى أنْ جاء الدور على إياز، وبدأ إياز بالحديث بالتفصيل عن وجْهةِ القافلة، وما لديها من حُمولة، وعدد الأحصنة، والجمال، والناس التي فيها.. فخمَّنَ كلَّ ما يريد السلطان معرفتَه وقام بالسؤال عنه.

أصاب الخدمَ الدهشةُ، فقد كان يملك معلوماتٍ أكثرَ من ثلاثين خادماً!

عاد السلطان للخدم وقال:

ـ هل رأيتم لماذا أعطي إياز أكثرَ منكم؟ بل يستحقُّ أكثرَ من ذلك بكثير.

«إنَّ الله يحبُّ إذا عملَ أحدكم عملاً أنْ يتقنَه» ويجب أن يكون للإنسان هدفٌ وطموحٌ للقيام بأصعبِ الأعمال، فلا شيءَ مستحيل.

العِقَاب

عندما كان أحد اللصوص يحاول التَّسلُّلَ إلى داخل منزلٍ من النافذة، تعثَّرَ بأحدِ حوافهَا ووقع أرضاً وكسرَت قدمه. . ذهب إلى القاضي «الطائر الأسود» واشتكى قائلاً:

ـ أيُّها القاضي؛ إنني أشتكي على صاحب المنزل لأنَّه لم يضعْ إطارَ النافذةِ بشكلٍ جيد مما تسبَّبَ بكسْرِ قدمي!

أحضَروا صاحب المنزل فقال:

ـ ليس لي ذنبٌ فيما حصل، الذنْبُ كلُّه على النَّجار الذي صمَّمَ الإطار.

وجد الطائرُ الأسودُ أنَّ الرجلَ محقٌّ فيما قاله.

ـ أنت محقٌّ؛ إذاً أحضِروا ليَ هذا النجار.

قال النجار:

ـ سيدي أنا أيضاً ليس لي ذنْبٌ فيما حصل، بينما كنتُ

أقومُ بعملي مرَّتْ فتاةٌ جميلةٌ جداً شتَّتت انتباهي، لذلك فالذنْبُ كلُّه عليها.

وجد الطائر الأسود أنَّ النجار محقٌّ أيضاً، وطلب إحضارَ هذه السيدةِ الجميلة.

قالت السيدة الجميلة:

ـ أنا أيضاً يا سيدي ليس لي ذنْب فيما حصل، فالذنب كلُّه على الحلَّاق الذي قام بقصِّ شعري وتصفيفِهِ ذاك اليوم، مما جعلني أشتِّتُ انتباهَ النَّجار في عمله.

قال الطائر الأسود:

ـ أحضِروا ليَ الحلاق سريعاً.

جاء الحلاق وحكم عليه الطائرُ الأسود بالإعدام! ولأنَّ الحلَّاق طويلٌ جداً وقدَمَيه تصل إلى الأرض فلم يستطيعوا إعدامَه، فطلب الطائرُ الأسود أنْ يُحضِروا جاره في الدُّكان وقاموا بإعدامه!

نعيش في عالَمٍ الخطأ فيه هو الصحيح، والصحيح هو الخطأ، نريد جميعاً العدالةَ لا غير.

مع الأسف لقد عاش الإسلام الكثيرَ من هذا الحكم

الظالم نتيجةَ تحريفٍ لكتبِهِ ومبادئِهِ الصحيحة، مما شوَّهَ صورتَه وجعل الحكم عليه يكون بهذه الطريقة الخاطئة.

ففي كلِّ عصرٍ هناك «طائرٌ أسود».

لقد كتب مصيره بنفسه

جاء بديع الزمان سعيد نورسي في عام (1960) إلى مدينة أورفا نتيجةَ وعكةٍ صحية أصابته، وعندما وصل خبرُ قدومه إلى أورفا إلى وزارة الداخلية، أمرتْ بإخراجِهِ منها على الفور.

ولكنَّ الشعبَ طالبَ ببقائِهِ لمرضه الشديد، ولعدم وجود سيارةٍ لنقله، ولكنَّ الوزير أصرَّ على إخراجِهِ حتى ولو بسيارةِ القمامة، وقال:

ـ لقد كتب مصيرَه بنفسه.

لم يُخرَجْ بديعُ الزمان سعيد نورسي من مدينة أورفا بسيارةِ قمامة؛ بل الوزير الذي انتحرَ رامياً نفسَهُ من على سطح الوزارة، هذه هي العدالة الإلهية، فكما تَدينُ تُدان.

أعطيت روحي

جاء يهوديٌّ إلى الشيخ وهو يصرخُ قائلاً:

ـ لقد رأيتُ شمس الدين التَّبريزيَّ.

خلع الشيخُ قميصَهُ وأعطاه لليهودي.

ضحك اليهوديُّ وقال:

ـ لقد كذبتُ عليك.

قال الشيخ:

ـ أعلم ذلك، فلو كنتَ تصدقُ لأعطيتُك روحي.

لا شيءَ مثلَ رحمةٍ وحبٍّ وعفوِ الله تعالى، لا الشيخ ولا شمس التبريزي.. إنْ شاء الله ستُقبَل عبادتُك حتى إذا لم تكنْ مخلصاً فيها بعضَ الأحيان وأذنبْت.

الأمة الأصيلة

أحد الأيام كان السيد يافوز بولنت باكيلر يتحدث:

ـ تصرفتُ كأخٍ كبيرٍ مع جنودي، وحاولتُ أنْ أعاملهم كما يعامل الأخ الكبير إخوتَهُ الصغار.

ذات يومٍ كان دوري في الحراسة.. جاء إلى جانبي أحدُ الجنود ليخبرني بقدومِ أمِّهِ من القرية، وكان قد طلبَ الإذن من القائدِ فلم يوافقْ، كان يريد الخروجَ لبضعةِ ساعات لرؤيةِ أمِّهِ دون موافقةِ القائد، وسيعود بسرعةٍ دون أنْ يشعر أحدٌ بغيابه.

وافقتُ على خروجِهِ بعد توسُّلِهِ، وتحمَّلْتُ مسؤوليةَ خروجِهِ من الثكنة، وحذَّرتُهُ من التأخير.

بعد ذهابه بفترةٍ قصيرةٍ قُرِعَ الباب، وإذْ بالجنديِّ يعود؛ فسألته:

ـ لماذا عدْتَ سريعاً؟!

ـ سيدي؛ لقد عدْتُ بسرعة لأنَّ أمي قالت لي: يا بني؛ مهما بقيتُ أنظرُ إليك لنْ أشبعَ من رؤيتك، عُدْ يا بني لئلا تسبِّبَ الحَرجَ للضابط، وخذْ هذه القبعة التي صنعتُها بيديَّ هاتين، وأعطِهَا للضابط، وبلِّغْهُ سلامي.

عندما أسمعتُ الضابط كلامَ الجنديِّ وكيف كان تصرُّفُ والدتِهِ وشعورُها بالمسؤولية زاد احترامُهُ لهذا الجندي، وامتلأتْ عيناىَ بالدموع تأثُّراً.

هذا الوطن بتربته وهوائه وشمسه مناسبٌ لنمو الورود.. وهذه البيئة هي أفضلُ بيئةٍ لنشأةِ الإسلام. وأرضُ هذا الوطن كانت على الدوام تحافظُ على بقاءِ رايةِ الوطن عاليةً شامخةً، وهي على الدوام بحاجةٍ إلى يدٍ حنونٍ ترعاها.

في نظر الآخرين

استشهد المئات من الشباب في حرب البلْقان في أيام الدولة العثمانية، وأصيبَ الآلافُ منهم.

وأراد المسلمون الهنود أنْ يشاركوا إخوانَهم في آلامِهِمْ، ويخفِّفُوا عنهم فأرسلوا وفدَ الهلالِ الأحمر للمساعدة في معالجةِ الجرحى والمصابين.

وطوال فترة الحرب كان المسلمون الهنود يقدِّمونَ الخدماتِ لإخوانهم الأتراك، وفي شهر تموز من سنة (1913) عاد أعضاءُ الوفد الهندي إلى بلادهم.

وفي الهند تمَّ استقبالهم في العاصمة بومباي بمراسمَ رئاسية، وكان ضمنَ الأشخاص الذين استقبلوهم القائدُ الهنديُّ المسلم محمد جوهر، وقال مخاطباً رئيسَ الوفد الدكتور أنصاري وعيناه ممتلئةٌ بالدموع:

ـ لقد كنتم تقدِّمون الخدمة والمساعدة والعون

للمجاهدين في تركيا، وأطلبُ منكم قبل أنْ تطأَ أقدامُكُمْ أرضَ الهندِ أنْ تطأَ خدِّي حتى ينالَنِي جزءٌ من الشرف الذي حصلتمْ عليه!

وبالفعل.. وضع خدَّه على الأرض، ووضع الدكتور قدمَه على خدِّ الرئيس قبل أنْ يضعَهَا على أرضِ الهند.

قال بديع الزمان:

ـ إن المسلمين العرب والأتراك هم عمادُ الإسلام، وهو الرمز الكبيرُ لهم، ويجب أنْ يعُوا هذه الحقيقة جيداً، ويدركوا عِظَمَ المسؤوليةِ التي تقعُ على عاتِقِهِمْ أمامَ الله والبشريةِ جمعاء.

وعلى مرِّ الزمان سيكون من يحمل راية الإسلام ويرفع لواء الحق والعدل، فالله الذي أنزل الإسلام هو الكفيل بذلك، عز شأنه.

مكان الحراسة

كان السيد إلْهان بارداكجي في زيارةٍ للقدس، وأثناء ذهابِهِ لزيارة المسجد الأقصى جذب انتباهَهُ رجلٌ مسنٌّ يقف في الزاوية لا يأتي بأيِّ حركة، مثبتاً نظرَهُ إلى الأمام، فسأل:

ـ مَن يكون هذا الرجل المسنُّ؟

فردَّ عليه الدليل:

ـ إنَّه أحدُ المجاذيب.

أنهى زيارته، وصلى صلواته، ولم ينسَ أمرَ هذا المسنِّ، هناك شيءٌ ما يجذبه إلى هذا الرجل، فذهب إليه.. اقترب منه وألْقى السلام عليه، ثم سأله عن حاله.

ودون أنْ ينتبه كان يكلِّمه باللغة التركية، وفجأةً لمعتْ عينا الرجلِ المسنِّ، وكان من الواضح أنَّ سماعَهُ للغة التركية بعد كلِّ هذه السنين قد أثَّر فيه كثيراً، وربما قد عاد

إليه إدراكه لبرهةٍ قصيرة، وكأنَّه لازال هناك شيءٌ في دماغه يعمل.

كان يرى نفسه في نوبةِ حراسةٍ، ولذلك كان لا بدَّ من الثبات في المكان، عدمِ النظر يمنةً ويسرةً، عدمِ التكلُّمِ كثيراً، وردَّدَ بضع كلمات فقط:

ـ يا ولدي؛ لقد أمرني الملازمُ محمود في الحرب العالمية أنْ أقفَ أحرسَ هذا المكان.

ثم سكت برهةً وتابع قائلاً:

ـ إذا عدْتَ إلى بلدك أبلغْه سلامي، وقلْ له: إنَّ الجنديَّ الذي جاء من أرزوروم لازال محافظاً على مكانه، وقد صدقَ في وعده لك.

تسمَّرَ إلهان في مكانه، وامتلأت عيناه بالدموع، وتراجع إلى الخلفِ بخطواتِهِ وغادر المكان، طبعاً لن يجدَ الملازم محمود، وربما توفِّي منذ زمنٍ بعيد، ولكنَّه أينما ذهب كان يحدِّثُ الناسَ بأمرِ هذا الرجل، وكان الجميع عندَها يقفون ويلقونَ التحيةَ العسكريةَ له.

لم أوفَّقْ في حفظِ اسمِ هذا الرجل التركي الأمين،

ولكنْ بالنسبة لنا نحن فيجبُ أنْ نحذوَ حذوَه، ولا نتركَ أماكنَنَا في حراسةِ هذه الأمة حتى لو أهملناها لبعضِ الوقت.

خدمة الحرمين

كان صديق السلطان سليم خان العالِمُ سعدُ الدين يتحدث نقلاً عن والده حسن خان:

ـ ليرحمه الله برحمته الواسعة ولْتكن الجنة من نصيبه، لقد كان السلطان يقرأ كتباً كثيرة أثناءَ الليل، وكان أحياناً يجعلني أقرأُ له وهو يستمع إلي، وذات ليلةٍ كنت نائماً ولم أذهبْ إليه، وفي الصباح بعد أنْ صلَّيتُ الفجر ذهبتُ مسرعاً إليه.

سألني السلطان:

ـ لم أركَ البارحة، ماذا كنت تفعل؟

بدأتُ أبرِّرُ له عدم قدومي ليلةَ البارحة:

ـ لم أنمْ لعدةِ ليالٍ، لذلك غلبني النومُ تلكَ الليلة، ولم أستطعِ القدوم.

ـ حسناً؛ تحدَّث عن الأحلام التي رأيتَها هذه الليلة.

ـ لم أرَ رؤيا مهمةً يا مولاي.

ـ ماذا تعني.. هل تريد أنْ تقنعني أنَّك نمتَ ليلةً بطولها ولم ترَ حلماً واحداً.. هيا تحدَّث، لا تُخْفِ على مولاك شيئاً.

وأقسمتُ له أنني لم أرَ شيئاً مهماً، وإنْ كنتُ رأيتُ فلا أتذكَّر شيئاً.

هزَّ السلطان رأسه مستغرباً، وبقيت حائراً؛ ماذا أفعل؟ ما سبب إصرارِ السلطان هكذا؟

بعد فترة أرسلني إلى دار العالم حسن آغا العالم التقي الورع الذي يقضي ليلَه كلَّه يصلي ويدعو، ولكنْ حالُ العالم حسن آغا لم يكن على ما يرام ذلك اليوم، كان يبدو شارداً كئيباً، فظننتُ أنَّه فقد قريباً له، فقلت له:

ـ أراك اليوم حزيناً متكدِّراً تملأ عينيك الدموع؛ خيراً إنْ شاء الله؟

ـ في الحقيقة؛ لا يوجد شيءٌ مهم.

وكان من الواضح أنَّه لا يريد التَّحدُّثَ عن سبب كدرِهِ، فقال رئيس الخزينة:

ـ لقد رأى أخاه في المنام، ولازال متأثِّراً من تلك الرؤيا.

ـ أرجوك أنْ تخبرَ السلطان، إنَّه منذ الصباح يسألني، ويبدو أنَّ شكوكَه ليستْ وهماً.

وكان يشجع الآغا على الحديث، وهو يتوقع أن يأخذ بشارةً على هذا الكلام.

ـ أرجوك أنْ لا تضعني في الموقف المحرج مع السلطان، ماذا تتوقَّعون منِّي؟ أنْ أكون قد حلمت بالسلطان؟

عندها تدخَّل رئيسُ الخزينة محمد آغا قائلاً:

ـ لماذا لا تحدِّثهم بما رأيت؟ في الحقيقة كونك موظفاً عند السلطان من واجبك أنْ تتحدثَ بما رأيت، برأيك ألا تكون خيانةً إنْ أنت أخفيتَ هذا ولم تقلْهُ؟

عندها بدأ الآغا بالحديث:

ـ رأيت في المنام أنني جالسٌ في العتبة، وإذ بالباب يقرَعُ بشدة، وفتحت الباب وإذا بنورٍ يملأ المكان، وبعد قليل استطعتُ تمييزَ أربعةِ رجالٍ يشع من حولهم النور ويحملون بأيديهم الرايات، وإذ بالذي قرع الباب هو السلطان وبيده راية بيضاء.

ـ هل تعلم لماذا جئنا؟

ـ تفضلوا.

ـ هؤلاء الذين رأيتهم هم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد أرسلنا رسولُ الله ﷺ وهو يبلِّغ سليم خان السلام، ويكلِّفُه بخدمة الحرمين، وهؤلاء الأشخاص الأربعة هم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي بن أبي طالب، بلِّغْ منَّا السلام لسليم خان.

قال هذا الكلام ثم اختفى.

كان الآغا يبكي وهو يتحدث، وفور انتهاء عملي عدت إلى السلطان، ومن جديد سألني السلطان:

ـ أنا غير مقتنعٍ إنَّك لم ترَ رؤيا الليلة الماضية!

ـ يا مولاي؛ إنَّ خادمك حسن آغا هو الذي رأى الرؤيا، وإذا أذنتَ لي سأحدِّثك بها.

ـ هات حدثني.

وبينما أنا أتحدَّث أصبح وجْه السلطان أحمر، وبدأت الدموع تنهمرُ من عينيه، وعندما انتهيت قال لي وهو يبتسم:

ـ يا لقلبك الطيب، وأنتَ تمدح هذا الشخص ينطبق

عليك المثل: «إذا رأيت أحدهم يُكثِرُ من الذهاب إلى المسجد مباشرةً تقول: إنه وليٌّ من أولياء الله».

ثم قال:

ـ لم يذهبْ مدحك له سُدى، ولكن ألم نقلْ لك: لا نستطيع الذهاب إلى تلك الجهة بدون أنْ نكون مفوَّضين ومستعدين لذلك؟

هؤلاء الأولياء عندهم كرامات، ونحن لا نستطيع أنْ نكون مثلهم أبداً.

لقد كان متواضعاً جداً، وكان يحاول أنْ يظهر نفسه أقلَّ من حقيقتها، وكان ينتظر خبرَ الرؤيا من حسن آغا.

كان السلطان سليم عنده الكثيرُ من هذه الأشياء الغريبة، وبعد هذه الرحلة ذهب وأخذ الأمانات المقدسة، هذا ليس حاكماً، وإنَّما كان خادماً، قلبه مليءٌ بحبِّ الله، وروحه مُنَارةٌ بالإخلاص لدينه وأمَّته.

«من وجدَ الله وجدَ كلَّ شيء، ومن فقدَ الله فقدَ كلَّ شيء».

الأمهات الأناضوليات

ستُجرى العملية السابعة لإحدى الأمهات من جراء إصابتها بالسرطان، وكانت في زيارةٍ لابنها الموجود في السجن في أنقرة، وكانت زيارتُها له وكأنَّها أتتْ لتملأَ عينيها منه وتودِّعَه.

تحبُّ ابنَهَا كثيراً وبدأت تواسيه، لقد نسيتْ أمْرَ مرضها، وكان ألَمها الحقيقيُّ من بقاء ابْنِهَا في السجن، وكان الاثنان يعلمان أنَّ شفاءَها من المرض كان مستحيلاً.

قالت لابنها:

ـ إياك أنْ تحزنَ إذا حدث شيءٌ لي، إذا متُّ مثلاً.

ثم نظرتْ حولها وأشارتْ للموجودين في الصالة وتابعت:

ـ وهل يوجد لكلِّ هؤلاء أمهات؟

هذه الكلمات القليلة لهذه الأم يمكن أنْ تستخرجَ منها حِكَماً ومواعظ كثيرةً. من هذه الكلمات القليلة يمكن أنْ تكتبَ مجلدات.

لربما تبدو هذه الأمُّ من مظهرها جاهلة، ولكن كم هي امرأةٌ مؤمنةٌ، طيبة، راقية، عطوفة، حنون!

«دعونا نتعلم من أمَّهاتِنَا المسنَّات».

كلمات هذه الأم أصبحتْ مثل حكمةٍ في المناسبات، كم نستطيع أنْ نستخلصَ عبراً ومواعظَ منها.

سَربةُ ماءٍ

كان الخليفةُ العباسي هارون الرشيد والعالمُ شقيقٌ البلْخيُّ ذات يومٍ يتسامران.

قال البلخي:

ـ أيُّها الخليفة؛ لنفرضْ أنَّك تهتَ في صحراءَ واسعةٍ، وكنتَ على وشك الموت من العطش، وفجأةً جاء أحدهم ومعه قربةٌ مليئةٌ بالماء وعرضَ عليك شراءَها.. كمْ ستدفع له؟

ـ سأدفع له كلَّ الذي يطلبه.

ـ لو طلبَ نصفَ ثروتك ثمناً لهذه القربة؛ هل تعطيه؟!

ـ أعطيه بالتأكيد.. أعطيه.

ـ أنت محقٌّ.

ثم تابع:

ـ لنفترضْ أنَّك اشتريتَ الماء وشربتَه، ولكن بعد شُرْبِهِ

بفترةٍ قصيرةٍ أردْتَ أنْ تتبوَّل ولكنك لم تستطعْ، وأصبحت قريباً من الموت مرةً أخرى، وفجأةً جاء أحدهم وقال:

ـ أستطيع أنْ أداويكَ، ولكنَّني أريد مقابل هذا نصفَ ثروتك الثاني؛ ما قولك؟!

وبدون ترددٍ أجاب الخليفة:

ـ طبعاً أوافق.

قال البلخي:

ـ وهكذا يا أمير المؤمنين؛ بشربة ماءٍ، ثم بإفراغ هذا الماء كانت قيمةُ كلِّ ثروتك.

احذر يا مولاي أنْ تثقَ في المال أو تعتمدَ عليه، ولا ينبغي لأحدٍ أنْ يتباهى بمالٍ أو ملك في هذه الحياة.

لا ينبغي للإنسان أنْ يثقَ بشيءٍ لم يكن معه عندما جاء إلى هذه الدنيا، ولنْ يأخذه معه عندما يغادرها.

يجب علينا أنْ لا ننسى أنَّ هذه الأشياء التي أعطانا إياها هو الله تعالى، ويستطيع أنْ يسلبها منَّا في لحظة.. لذلك لا ينبغي للمال أنْ يغير الإنسان، وعليه أن لا ينسى أبداً أن هذا شيء لا يدوم.

لحم وعظم

ذات يوم خرج مولانا جلال الدين الرومي في نزهةٍ مع بعض تلامذته.

كان الجو جميلاً منعشاً، وأثناء تجوالهم شاهدوا بعض الكلاب تلعب، فقال أحد التلامذة:

ـ انظر يا مولاي؛ هذا مثالٌ على الإخوة، ليت الإنسانَ يأخذ عبرةً من هذه الحيوانات.

هنا ابتسم مولانا جلال الدين وقال:

ـ ارمِ لهم قطعةَ لحمٍ وعظمٍ، وانظرْ إلى الإخوَّة كيف ستكون؟!!

❁ ❁ ❁

أعطى رجلٌ طعاماً، ذات يومٍ في المدينة المنورة، لأحدِ بيوت الفقراء، فشكره الرجل وقال له: إنَّ جاري أكثرُ حاجةً مني فأعطِهِ له.

وعندما قرع بابَ جاره كان جوابُ جاره مثلَ جوابِهِ: «إنَّ جاري بحاجةٍ أكثرَ منِّي».. وانتقلَ من بيتٍ إلى بيتٍ حتى عادت إلى صاحب البيت الأول.

يجب على الإنسان أنْ تكون روابط الإخوة والصداقة والجيرة أهم من كلِّ المنافع الشخصية والمصالح الفردية، وأنْ يتحلَّى بصفاتِ المؤمن الذي ذكره الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ صدق الله العظيم.

سَقيقَ فاتح

بينما كان السلطان محمد الفاتح يمتطي جوادَه، وإذ بمتسوِّلٍ يقترب منه ويطلب الصدقة، فأعطاه السلطان بعضَ القطع الذهبية.

فقال المتسوِّل:

ـ يا مولاي! هل يعطي الأخُ لأخيه القطعَ الذهبيَّةَ فقط؟!

قال السلطان مندهشاً:

ـ وكيف أصبحتَ أخي وأنا لا أعرفك!

فأجابه المتسوِّل:

ـ عجباً لأمرِ مولاي؛ ألسْنَا جميعاً أولادَ آدم؟!

فمال السلطان وهمسَ في أذن الرجل قائلاً:

ـ خذْ هذه القطع واذهبْ مسرعاً لأنه إذا علم إخوتُنَا

الآخرون بأمْرِ هذه القطع الذهبية، عندها ستكون حصتُكَ أقلَّ من هذا بكثير!

يجب على الإنسان أنْ يعملَ ويجتهدَ ليكسبَ رزقه ويعيلَ عائلته، ولو كان رزقُهُ قليلاً، فالله سيضعُ البركة في هذا السعي والجهد، ويجب على الإنسان مهما كان ضعيفاً أو مريضاً أن لا يطلبَ الصدقةَ دون أنْ يبذلَ جهداً مقابلاً.

ومن جهةٍ أخرى يجب على المتصدقين أنْ يبحثوا في مجتمعاتهم عن المحتاجين الحقيقيين، وأن يسرعوا إلى تأمين حاجياتهم قبل أن يضطروا للتسوُّل، ففي المجتمع المسلم الحقيقيِّ لا يوجد فقراء أو أغنياء، وهذه هي الإخوة الإيمانية الحقيقية.

الببغاء

كان هناك بقالٌ يملك ببغاءً جميلاً جداً، ويتكلَّم بطريقة رائعة، وكان هذا الببغاء قد اعتاد على دكَّان البقال، وكان يقوم بحراسة الدكان إذا خرج صاحبُهُ لقضاء بعض حاجاته.

وذات يومٍ؛ عند خروج البقال من الدكان دخل قِطٌّ، وحتى يمنع القِطَّ من العبث بمحتويات الدكان رمى دهن الورد على الأرض، وعند دخولِ الرجل وجدَ أنَّ المحتويات مبعثرةً وكذلك الزجاجات، وحتى دهن الورد سُكب على الأرض.

فغضب غضباً شديداً وضرب الببغاء بالعصا تأديباً له، ومن يومها لم يعد الببغاء يتكلَّم، وعلامات الحزن الشديد عليه، وبدأ ريشه يتساقط.

حزن الرجل كثيراً وحاول بكل الوسائل أنْ يرضي

الببغاء ولكن لم يفلح، ولم تُجْدِ معه كلُّ المحاولات، وقال في نفسه: ليت يدي كُسرت قبل أنْ تمتدَّ إلى هذا الطائر المسكين.

ومرت الأيام والببغاء على حاله، لا يتكلم، والبقال يشعر بالندم والحزن، وذات يومٍ دخل إلى الدكان رجلٌ أصلع، وفجأة بدأ الببغاء بالكلام من جديد، فدُهش الجميع بفعله، وقال مخاطباً الرجل الأصلع:

ـ هيا؛ قل أيُّها الأصلع ماذا فعلتَ أنت أيضاً؟

ضحك الجميع من قول الببغاء، وكان الطير يظنُّ أنَّ هذا الرجل الأصلع قد سكب دهن الورد في مكانٍ ما لذلك استحق أنْ يُنْتَفَ شعرُهُ فأصبح أصلع مثله!

عندما يظنُّ بعض الناس أنَّهم يعلمون كلَّ شيء، ويتصرفون على هذا الأساس، فإنَّهم من خلال هذا التَّصرُّف يقعون في نتائج أخطائهم.

معظم الناس عندما يحصلون على علمٍ قليل، يبدؤون بتقليل الاحترام للكبار وتقديرهم، وينسَونَ أنَّ هؤلاء

اكتسبوا معرفةً في رحلة حياتِهِم لا تُقدَّر بثمن، وما لا يستطيع الإنسان أنْ يكتبَه بأيام.

لذلك يجب أنْ يكون الإنسانُ حذراً وإلا سيقع في مصير الببغاء ذاته، لذلك يجب على الجميع إدراكُ حدود معرفته، وقد قيل: «بينما تصنعُ النحلة العسلَ توجد حشرةٌ أخرى تصنعُ السُّمَّ».

الصداقة

كان هناك في سالف الأزمان شيخٌ وله مريدون، وكان هؤلاء المريدون يتركون شيخهم واحداً تلوَ الآخر، حتى جاء زمانٌ لم يبقَ إلا واحدٌ مخلصٌ لهذا الشيخ، ومهما حدث لا يغادر بابه.

وذات يومٍ سأل الشيخُ هذا المريد بصوتٍ مرتعش:

ـ لماذا تركني هؤلاء المريدون وما السبب؟

تلعثم الشاب ولم يُرِدْ أنْ يجيبَ على سؤال الشيخ:

ـ إنَّ.. لكنَّهم...

ولكن الشيخ أصرَّ على معرفةِ الجواب، وأدركَ المريدُ أنَّه لا بد له من الكلام فقال:

ـ يا شيخي؛ إنَّ زملائي رأَوا عند تسجيل قيدهم قد كُتِبَ في حقِّك: «مذنب ـ عاص». عندما رأَوها؛ قرَّروا الانصراف عنك.

تألَّم الشيخ لهذا الكلام، وقال:

ـ لقد شاهدتُ هذا لمدة أربعين عاماً، ولكنني صبرتُ وتحمَّلتُ وقلتُ في نفسي: «إلى أين سأذهب؟»، وداومتُ على شيخي ولم أغادرْ بابه.

أثناء ذلك مُسِحَتْ تلك الكتابة وشاهد السيد (بختيار مسعود) قد كتب:

ـ هل من المعقول أنْ يقال: «هناك بابٌ آخر؟»، هيا لنذهب إلى هناك.

يجب أنْ يكون الإنسان صبوراً ليستطيع التمسُّك بهذا الباب.

قال أحد الأولياء يوماً:

ـ استفدت مرة من قطٍّ!

ـ كيف؟

ـ دخل فأر جحراً، فرآه القطُّ فجلس عند باب الغار ينتظر خروجه دون أنْ تغمضَ له عين، وبعد فترة طويلة خرج الفأر فأمسك به القطُّ، وهكذا بالصبر نال مرادَهُ، عندها فهمت أنَّه **بالصبر تستطيعُ أنْ تحقق ما تريد.**

أين مكاني؟

نجيب فاضل وأحمد أمين يَلمان قد وضعا في السجن بسبب كتاباتهما.

ـ لا أدري كيف ستسع هذه الزنزانة الضيقة؟

ـ لا تحزن يا صديقي؛ في الحقيقة لا يحتاج الإنسان إلى مكانٍ واسع، سيكفينا هذا، في القبر يسعنا أصغر من هذا المكان ولا نحتاج فيه إلا بقدر طولنا. لا تضايقْ نفسك.. أنا سوف أتكوَّر على نفسي هكذا، ويبقى لك هذا المكان. ألا يكفيك؟!

ـ لا يكفي يا عصمان، لا يكفي.

ـ طبعاً؛ لا يسعك! أنت إنسان عظيمُ الشأن، والتاريخ كلُّه لا يسعك.

ـ يا صديقي دعْكَ من هذا الكلام، سأنام أنا، ومكاني أين سيكون؟

ـ مكانك في قلوب كل المؤمنين.

هؤلاء الأشخاص في زمنِ المستحيلات حاولوا فِعْلَ كلِّ ما يستطيعون.

أي مطبعة كانوا يطبعون فيها مجلَّتهم «الشرق الكبير» كان يصدر أمر بإغلاقها في اليوم نفسه، وفي يوم إصدارِ المجلة كان نجيب فاضل قد خرج ليتناول الطعام في الخارج مع أصدقائه، وعندما يتحدَّثون يقول نجيب فاضل:

ـ أنتم اهتمُّوا بأنفسكم، أما أنا على كلِّ الأحوال، سيأتي البوليس ليأخذني بعد قليل.

وبالفعل عند خروجهم من المطعم كان البوليس في الانتظار.

وعند إصدار مجموعة الفدائيين، دخلوا السجن لمدةٍ زادت عن سنة، وكلما خرجوا من السجن لا ينقضي وقت حتى يدخلوه مرةً أخرى.

إنَّ احترامنا وتبجيلَنَا لهؤلاء الأشخاص هو أقلُّ واجباتنا

تجاه ذكراهم، وإنَّ وفاءَنَا لذكراهم يُعتبر تقديراً واحتراماً لما بذلوه من أجل هذه البلد في وقتٍ من الأوقات.

فمٌ بلا ذنوب

ينقل لنا سيدنا موسى عليه السلام خطابه مع الله سبحانه:

ـ يا موسى! ادعُني بفمٍ بلا ذنوب!

ـ يا رب؛ كيف لي أنْ أفعلَ ذلك، ولا أملك فماً بلا ذنوب؟!

ـ يا موسى؛ ادعُ بفمِ غيرك لأنَّك بهذه الحالة أنت لم ترتكبْ ذنوباً بفمِ غيرك، وهكذا يدعو الناس ليلاً نهاراً، وفي الوقت نفسه يكون فمك قد تطَّهَر من الذنوب.

ـ وكيف يتطهر الفم؟

ـ بذكر الله في كلِّ وقت وفي كل مكان..

أحدهم أذنب ذنباً، ثم يجد أمامه الوسائل الكثيرة للتكفير، ومهما كثرت الذنوب، يبقى هناك مكانٌ لكسب الثواب.

وفكِّروا ـ أعزائي ـ لو أنَّ المؤمنين جميعاً أسسُّوا

شركة، كلُّهم أعضاءٌ فيها. هذه الشركة هي من أعمال المؤمنين الخيرية بأنواعها، وكلُّ الشركاء يستفيدون، هل تتخيَّل معي كم ستكون عظمة هذه الشركة؟!

عزُّ الطاعة

مرض والي المدينة التي يقيم فيها العالم سهل التستري، وحار في أمره الأطباء.. وذات يومٍ أشار عليه مستشاره بأن يستدعي العالم التستري ويطلبَ منه الدعاء عسى الله أنْ يرفعَ عنه هذا البلاء، فاستجاب الوالي لنصيحة مستشاره، وفوراً أمر باستدعاء العالم إلى مجلسه، وعند قدومه قال له الوالي:

ـ أيُّها العالم الجليل؛ لقد رأيتَ ما بي من الوجع والألم، لو تدعو الله لي فيَمُنَّ عليَّ بالشفاء.

هزَّ العالم التستري رأسه بحركةٍ توحي أنَّه لا يمكنه ذلك، وقال:

ـ وهل تتوقَّع أنَّ الله سيستجيب لدعائي والسجن مليءٌ بالأبرياء؟!

فورَ سماع الوالي هذا الكلام أمر بإطلاق سراح جميع

الأبرياء والمظلومين، عندها رفع التستري يديه إلى السماء داعياً متضرِّعاً إلى المولى ﷻ قائلاً:

ـ يا رب؛ كما أذقت والينا العبد الفقير ذلَّ المعصية والمرض أذقْهُ عز الطاعة والشفاء من هذا البلاء.

❁ ❁ ❁

الدنيا دار حكمة وابتلاء، وهناك كثير من الحوادث التي يعيشها الإنسان لا يرينا الله الحكمة منها بشكل واضح، بل يجب علينا نحن أنْ نتفكَّر ونتأمَّل ونعتبر، وذلك بأنْ نزيحَ الغطاء عن أعيننا ونبصر بقلوبنا.

وإذا فهمنا حكمة رب العالمين من هذا الذي نحياه، نسرع بإعلان توبتنا من أخطائنا تجاه الآخرين، ومن تقصيرنا تجاه ربنا ﷻ، وننجو بأنفسنا من سوء الخاتمة ومن عذاب جهنم.

وعند قبول توبتنا، سنذوق حلاوة الطاعة وراحة البال والضمير وسعادة القلب، وهذه المشاعر ستكون بشارةً لنا من حسن الخاتمة ودخول الجنة برحمته تعالى.

يجب علينا أنْ نحمي أنفسنا ونصونها من ذلِّ المعصية وأنْ نرفعها إلى عز الطاعة.

قلبي وقلبك

علَّقت امرأةٌ في بيتها لوحةً وكانت سعيدة بها كثيراً، وانتظرت قدوم زوجها في المساء لتريه إياها.

ولما دخل زوجها ورأى اللوحة أعجبته كثيراً وبعد أنْ مدح ذوقَ امرأته قال لها:

ـ لو وضعتِ هذه اللوحة في هذا المكان لكان أجمل.

قال هذا مشيراً إلى مكانٍ آخر في الغرفة، وفجأةً فقدت المرأة وعيها وسقطتْ على الأرض عند سماع هذا الكلام!

دُهش الرجل من ردَّةِ فِعْلِ زوجته، وعندما استفاقتْ سألها عن سبب إغمائها فقالت له:

ـ لم أستطعْ أنْ أفهم مرادك حتى قلته لي، وقد كان حريّاً بي أنْ أعرفه دون حاجتك إلى قوله، وقد أحزنني هذا كثيراً.

❁ ❁ ❁

لا تستطيع أنْ تكسب قلب المرأة بالقسوة والرد، وإنما باللطف والحنان والرقة أثناء الحديث.

يحدثنا نجيب فاضل فيقول:

ـ كان الشاعر في لقاء مع سيدة فرنسيةٍ يحدثها عن روايته، وبينما هما يتحدثان سألته السيدة الفرنسية عن زوجته؛ فأجاب:

ـ إنَّها ليست من النوع الذي تعرفين من النساء.

ـ كيف؟

ـ كل النساء عندهن ذاك العيب الخطير الذي يحتمل السم والعسل عدا امرأتي ليس عندها ذلك.

دهشت السيدة الفرنسية من كلام الشاعر وسألته:

ـ ما العيب الذي تتحدث عنه؟

أشار الشاعر إلى فمه وقال:

ـ تتحدث، ولكن كأنه ليس في فمها لسان.

❁ ❁ ❁

مهما علا صوت المرأة وقستْ كلماتها وتشاجرتْ فهي لا تستطيع أنْ تخفيَ ذلك الكم الهائل من الرقة

والعذوبة، وإن خدعتك بقسوتها وحدَّة كلماتها فهي لن تستطيعَ خداعك فترةً طويلة.

عسلٌ مزيَّف

كان بديع الزمان يروي إحدى ذكرياته أثناء تواجده في إسطنبول، فيقول:

ـ في إسطنبول بين الكوبري إلى دار الورق (منطقة في إسطنبول) امتلأتْ بالنساء الكاشفات شعورهن، من تركيات وأرمنيات وأوروبيات، وكنا نحن الثلاثة أنا والحاج إلياس والشيخ سعيد طه قد ركبنا قارباً صغيراً بغرض النزهة، وكنا نمر من قرب هؤلاء النساء، ولم أدر أنَّ أصدقائي كانوا يراقبونني طوالَ الرحلة، ثم قالا لي:

ـ لقد احترْنا في أمرك، لم ترفع عينك وتنظر إلى إحداهن طوال الرحلة، لماذا؟

ـ وهل تريدان مني أنْ أُذْهِبَ ديني وعفَّةَ نفسي من أجل هذه المتعة الزائفة؟

عاش بديع الزمان في بيت والي مدينة بتليس ثلاث

سنوات، وكان في البيت نفسه يعيش بنات الوالي الستة، وكان ثلاثةٌ منهن في عمر الصبا، ورغم مرور ثلاث سنوات وهم يعيشون في نفس المكان، لم يستطع أنْ يميز إحداهنَّ عن الأخرى، لماذا؟ لأنه من المنطقي أنَّه لو نظر إليهنَّ ولو مرةً واحدة لاستطاع ذلك، وهذا يعني أنَّه لم ينظرْ إليهنَّ ولا مرةً واحدة.

وكانوا يسألونه:

ـ لماذا لا تنظر إلى النساء مثل كلِّ الشباب؟

فيردُّ قائلاً:

ـ إنَّ عز العلم الذي أحمله في جنبي لا تدعني أنظر!

❁ ❁ ❁

إن حلاوة هذه المتع الزائلة المحرمة هي مثل الذي يتذوق عسلاً يحوي داخله سمّاً زعافاً.

في البداية يستمتع بمذاق العسل، ولكنه سرعان ما سيعاني من الآلام المبرحة الناتجة عن السم.

هل هو الخوف من الموت؟!

كانت السيدة فاطمة ﵂، أم الحسن والحسين زهرةَ شباب الجنة، وابنة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، قد أصبحت في حالةٍ يرثى لها من الحزن على أبيها المريض، ولم تستجمعْ نفسها إلا بعد أنْ بشَّرها الرسول عليه الصلاة والسلام بأنَّها ستكون أوَّلَ اللاحقين به.

فكانت منذ اليوم الذي توفي فيه والدها وهي تنتظر الموت بشوقٍ على أمل اللقاء بأبيها. وذات يوم كانت في زيارةٍ لوالدة إحدى الصحابة، وكانت مريضة جداً، وعند رؤية فاطمة لهذه السيدة المريضة بدا عليها التَّأثُّر الشديد، فسألتها السيدة:

ـ هل هو الخوف من الموت يا ابنة رسول الله؟

ـ كلا يا أمي؛ ليس الأمر كما تظنين، ولكنني أفكِّر

أنهم حين يلفونني بالكفن ويحملونني على النعش.. سيراني الناس، هذا ما يقلقني كثيراً.

أخبر الرسول ﷺ يوماً وهو يحدث أصحابه، أنه يقال لأهل الجنة: ادخلوا، فإنَّ فاطمة الطاهرة العفيفة بنت محمد ستأتي.

كلنا نعلم أنَّ الكفن الذي يُلَفُّ حول الميت لا يكون طبقةً واحدة، وإنَّما عدة طبقات، ولكن شدة حياء فاطمة وقلقها من احتمال رؤية جسدها وهو مسجىً فوق التابوت كان يعذبها ويشغل بالها!

الجاني الذي في القارب

يتحدث بديع الزمان سعيد النورسي عبر «رسالة الإخوة» فيقول:

ـ لنفترض أنك تركب في مركب ومعك تسعة أشخاص أبرياء، ولكن من بينهمْ جانٍ واحد، وهناك من يريد أنْ يغرق القارب، فمن المؤكد أنَّك ترى أنَّ إغراق القارب ظلم كبير، وهذه حقيقة لا يختلف عليها اثنان، ومن المؤكد أيضاً أنك تريد أن تصرخ بكلِّ ما أوتيت من قوة: «إن هذا الذي يفعله هو ظلم كبير»، وتصرخ لدرجة أنَّ صوتك يشقُّ عَبابَ السموات والأرض.

وهذا الذي يفعله هذا الشخص هو ظلم محقق، حتى لو افترضنا أنه في المركب يوجد تسعة أشخاص جناة وشخص واحد بريء فقط، فهذا الفعل لا يمكن أن يقبله عقل ولا منطق.

إذا كان هناك شخصٌ مؤمن فيه عددٌ من الصفات الجيدة، وفيه صفة الإيمان والإسلام والوطن الواحد، واللغة الواحدة، والقبلة الواحدة، والأخوة، والجيرة. . . إلخ. فيه ما يقرب من العشرين صفة، ولكن هناك صفة واحدة غير جيدة، هل من العدل أنْ ينسى أحدُنا كلَّ هذه الصفات وينظرَ إليه بكره وحقد وحسد، بسبب تلك الصفة غير المحبوبة، أليس هذا ظلماً؟!

هذا يشبه تماماً إغراق المركب الذي يحمل تسعة أشخاص أبرياء وجانياً واحداً، فسيرتكب الشخص ظلماً كبيراً بإغراق المركب من أجل جانٍ واحد.

أعضاء الجسم

ذات يوم اجتمعت أعضاء الجسد الواحد، وكانوا يشتكون أنَّهم جميعاً يعملون من أجل المعدة، في حين أنَّ المعدة لا تعمل شيئاً على الإطلاق، وهي أيضاً بدونهم لا تستطيع فعل أي شيء، وتكلموا كثيراً وكانوا غاضبين من هذا الواقع، وفي نهاية الاجتماع قرروا أن لا يستجيبوا لرغبات المعدة بعد الآن ولن يعملوا من أجلها.

قررت العين أنْ لا تنتقيَ الطعام بعد الآن، وكذلك اليدان قررت هي الأخرى أن لا تمسكه، والفم لا يستقبله، وكذلك الأسنان فلن تطحن الطعام، وحتى الأقدام قررت أن لا تخطوَ خطوةً واحدة عقاباً للمعدة.

ونفِّذت القرارات وتركوا المعدة فارغةً، ولم يمرَّ وقتٌ طويلٌ على هذا حتى بدأت العين تزيغ ولا ترى بوضوح، والأيدي ترتعش، والفم بالجفاف، والأسنان بالتعفن،

والأقدام بالخَوَر ولم تعد تستطيع الوقوف، ففهموا جميعاً أنه ليس فقط المعدة لا تعمل بدونهم، فهم لا يستطيعون العيش بدونها أيضاً.

وفهموا أنه لا يمكن للجسد أن يكون على قيد الحياة، وأنْ يعمل بشكل جيدٍ إلا إذا اجتمعت الأعضاء وتعاونت مع بعضها على العمل بهدف، ولن يستطيع كل عضو أن يعمل لوحده لأنَّه غيرُ قادرٍ في الحقيقة على ذلك.

البشرية والإنسانية مثل الجسد الواحد، والإنسان مثل العضو بالنسبة للجسد، فكلُّ إنسان تقع عليه مسؤولية العمل من أجل الهدف المشترك وهو خير البشرية، وإلا سيكون الحزن واليأس والتخلف هو الذي سيعمُّ الكون، ولن تتحقق الحياة الكريمة لأحد ولن يشعر أحدٌ بالسعادة.

عِبرة!

ذات يوم خرج الأسد والذئب والثعلب للصيد معاً، واستطاعوا اصطيادَ ثورٍ بريٍّ وأرنبٍ سمين، وعنزةٍ جبلية، ثم جلسوا عند نبع الماء، فقال الأسد:

ـ أيها الذئب؛ انظر لهذا الذي اصطدناه! أريد منك أن تقسمه بيننا بالعدل.

نهض الذئب من مكانه وكان واثقاً من أنه سيفعل ذلك، وأخذ الثور ووضعه أمام الأسد وقال:

ـ يا سيدي؛ أنت كبيرنا وسيدنا، ولذلك تستحقُّ أن يكون الثور من نصيبك! وكون العنزة حجمها وسط فسآخذها أنا، أما الأرنب فسيكون من نصيب الثعلب.

غضب الأسد من هذه القسمة وقال:

ـ أيها الذئب؛ لم أفهم جيداً الذي قلتَه، لو تقترب مني أكثر فتُسمعني ما قلتَ!

وعندما اقترب الذئب من الأسد انقضَّ عليه ومزَّقه إرباً، ثم توجَّه إلى الثعلب قائلاً:

ـ أيها الثعلب؛ هيا اقسم لنا هذا الصيد.

فأجاب الثعلب بعد أنْ قدم احترامه للأسد:

ـ يا سيدي؛ أنا أرى أن يكون الثور السمين إفطاركم، وعلى الغداء تتسلى بلحم العنزة، أما في العشاء فستكون الأرنب وجبةً شهيةً للعشاء، وأتمنى لك الصحة والعافية!

فرح الأسد كثيراً لقسمة الثعلب، وقال ضاحكاً:

ـ أيها الثعلب؛ لقد تصرفت بذكاء وأعجبني فعلك، ولكن من أين تعلمت هذا؟

وبدون أن يظهر خوفه ابتعدَ الثعلب عدة خطوات من مكان الأسد وابتسم قائلاً:

ـ مما حدث للذئب!

يجب على الإنسان أن يأخذ العبرة مما يحدث حوله، ويجب أنْ يستفيد من الذي يحدث للآخرين. وليس من الذكاء أنْ يتصرَّف ببطولة زائفة في المواقف التي ستكون

وبالاً عليه، وعندها لن يُسمَّى ذكاءً وإنَّما سيسمَّى غباءً وجهلاً.

يجب أنْ يفكِّر الإنسان ملياً قبل أنْ يخطو خطوةً واحدةً، وأنْ يعلم تماماً إلى أين تأخذه قدماه.

البركة

جاء أحد الأمراء لزيارة مولانا فسأله:

ـ لقد لاحظت يا مولانا أنَّ أنثى الكلب تلد أعداداً كبيرةً من الجراء الصغيرة، بينما أنثى الخروف تلد على الأكثر اثنين، ونحن نأكل منها ونعلم أيضاً أن لها فوائد كثيرة، بينما الكلب لا نستفيد منها ولا يقترب منها أحد، فما الحكمة من كونها أكثرُ من الخرفان؟ أليس من المنطقي أن يكون الخراف أكثر؟!

ـ الخراف تستيقظ في وقت السحر، بينما الكلاب تنام في ذلك الوقت، فالبركة في الخراف، بينما لا بركة في الكلاب.

❁ ❁ ❁

لن نصل إلى فهم حكمة رب العالمين في مخلوقاته كلها، فكلُّ مخلوقٍ من مخلوقاتِهِ له فيه حكمة في وجوده

أو دوره في حياته، وإذا أردنا أنْ نتعقَّبَ أدقَّ مخلوقاته فلنْ يكفينا مجلدات ضخمة لتدوين الملاحظات والدروس والعبر.

وقديماً قالوا: «لا تقفْ عند القشر، ولكنْ عليك الاهتمام بالجوهر».

مَن المسنُّ؟

التقى راهب بمولانا عند عودته من المسجد فسلَّم عليه، فسأله مولانا:

ـ أيُّهما أكثر تقدُّماً في السن؛ أنت أم ذقنك؟!

ـ أنا أكبر من ذقني بعشرين سنة.

ـ للأسف؛ انظر لقد نبتتْ بعدك بعشرين سنة، ولكنها بلغت ووصلت لسن الرشد. بينما أنت لازلت في مرحلة المراهقة وعدم النضج، وإذا لم تسرع وتنضج وتبلغ فيا أسفي عليك!

وفور سماع الراهب هذا الكلام، أسرع وأعلن إسلامه.

❁ ❁ ❁

إن الله ﷻ يحب طاعة الشيخ، ولكن حبَّه لطاعة الشاب أكثر، والله يبغض العاصي الشابَّ، وبغضه للشيخ المسن العاصي أكثر، إذ الشيخ قد تعلَّم من الحياة

الدروس والعبر، وعلم أن الحياة زائلة، ولذلك يجب أن يستقيم ويتوب، وإن لم يفعل ذلك فلن تبدو عليه هيبة الوقار ونور الإيمان الذي يضيء وجوه الشيوخ المؤمنين.

قيمة النار

كان السلطان سليمان القانوني في رحلة صيد، وبدأ المطر ينهمر بغزارة وتبللت ثيابه، وبدأ يشعر بالبرد، وبدأت أطرافه بالارتعاش، فلجأ إلى الجبل وأختبأَ في أول مكانٍ وجده. . . وكان هذا المكان كوخاً صغيراً لأحد الرعاة، وقد أشعلَ فيه ناراً.

اقترب السلطان من النار وهو يرتجف وثيابه مبللةٌ يكاد يتجمد من البرد، وما هي إلا فترةٌ قصيرةٌ حتى شعر بالدفء، وشيئاً فشيئاً بدأت ثيابه تجف، عندها التفتَ إلى الراعي وقال له:

ـ أتعرف أيُّها الراعي؛ هذه النار يقدَّر ثمنها بمئة ليرة ذهبية!

جفت ثياب السلطان فقرر أنْ يغادر الكوخ، وعند الباب مدَّ يده وناول الراعي بضعة قطعٍ ذهبية.

نظر الراعي إلى السلطان وقال له:

ـ ألم تقل لي أنَّ هذه النار قيمتها تساوي مئة قطعة ذهبية؟! أين ثمنها يا سيدي؟

مد السلطان يده وناول الراعي كيساً فيه مئة قطعة ذهبية وقال له:

ـ خذْ أيُّها الرجل، هذه قيمة النار.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت هذه الكلمة مشهورة.

❁ ❁ ❁

من رحمة الله بعباده أنه وهب الإنسانَ مقومات الحياة الأساسية، وجعلها متاحةً للجميع دون استثناء، مثل الهواء والماء والنار.

ولولا رحمته الواسعة ولطفه اللامتناهي، لكان علينا أنْ ندفعَ ثمن الهواء الذي نتنفسهُ، والماء الذي نشربه.

لولا عطاء اللّه

عندما سمع السلطان محمود بوجود عائلةٍ فقيرةٍ في البلدة، قرر أن يرسلَ إليها كلَّ صباحٍ كيساً من النقود وطبقاً كبيراً فيه دجاج محمَّر.

وبعد مرور فترة من الزمن.. قرر أن يستفسر عن أحوال هذه العائلة، ففوجئ عندما قال له الرسول:

ـ إن حالهم لم يتغيرْ.

عندها قرر أن يرسل في طلب ربِّ الأسرة ليعرفَ منه السبب.

وعندما دخل الرجل الفقير إلى مجلس السلطان بادره السلطان بالسؤال:

ـ كيف حالك وحال أسرتك أيها الرجل، هل أنت راضٍ وممنونٌ من عطايانا؟

ـ أنا شاكرٌ جداً لإحسانكم يا مولاي.

ـ حسناً؛ قل لي الآن.. ماذا كنت تفعل بالدجاج الذي كنتُ أرسله لكم؟

ـ سأصدقك القول يا مولاي؛ عندما كنتَ ترسل الدجاج، آخذه فوراً إلى السوق وأبيعه، وأشتري بثمنه بعض احتياجاتي.

تبسم السلطان وقال:

ـ يبدو أنَّكم أدمنتم الجوع، واعتدتم عليه ولا تستطيعون فراقه.

❁ ❁ ❁

إن الله قدَّر لكلِّ إنسانٍ رزقه في هذا الكون.. ولكنَّه مع هذا يجب أنْ يكدَّ ويتعب ويبذل قصارى جهده، ثم يتوكل على الله حق توكله، وسيرزقه الله، وسيبارك له في رزقه.

والبخل من أبشع الصفات لدى الإنسان، والبخيل ممكن أنْ يبقيَ أطفاله جياعاً ولا يهمُّه ذلك، فهي صفة خسيسة، والله لا يبارك في مالِ البخيل ولا يمتِّعه به.

ألـم يشبع فمك؟

جاء شخصٌ إلى الحسن البصري وقال له:

ـ لقد قال أحدهم بحقك شيئاً.

ـ متى؟

ـ اليوم.

ـ أين؟

ـ في منزله.

ـ وماذا كنت تفعل أنت في منزله؟

ـ لقد كنت مدعواً للعشاء عنده.

ـ وماذا أكلت هناك؟

ـ لقد أكلت من ألذ وأشهى الأطعمة.

ـ بعد كل ما قد أكلته ألم يشبع فمك كما أشبعَ معدتك؟ أغرب عن وجهي.

أكبر سببٍ لإثارةِ الفتنة هم المنافقون الموجودون بين

المسلمين، فالفتنة أشدُّ من القتل، والغيبة هي من أشدِّ عناصر الفتنة، يجب ألا نصغيَ إلى أيِّ أحدٍ يتكلم في غيابِ الآخر لأنَّ المصغي يشارك المغتاب في الفتنة.

فإذا كان صادقاً فيما يخبر به فهي غيبة، وإذا لم يكن فهي افتراء، وكلاهما أسوأ من الآخر، فليس من حق أي أحدٍ أنْ يقوم بهتْكِ الآخر هكذا.

ليتكَ كنتَ نائماً

عندما كان سعدي الشيرازي صغيراً كان لا يترك صلاة، وكان يدعو الله دوماً في كل ليلة، استيقظ ليلة في ساعة متأخرةٍ وأخذ يقرأ القرآن، كان والده لا يزال مستيقظاً، سأل والده:

ـ لماذا ينامون في الليل ولا يقومون لصلاة ركعتين لله تعالى؟!

ـ ليتك أنتَ أيضاً كنت نائماً ولا اغتبتَ الآخرين هكذا.

حتى أفعال الخير الصغيرة كبيرة عند الله، ولكن من الجيد رؤية أعمالك الكبيرة صغيرة، أما الذنوب فعليك رؤية ذنوب الآخرين صغيرة وذنبك كبير، فالشخص صاحب القلب الكبير لا يبحث عن عيوب الآخرين.

الغيبة

دخل رجل درويش الجامع في يوم الجمعة، وأراد شيئاً من المصلين، عندما رآه الجنيد البغدادي قال في قلبه: «لماذا هذا الشخص الشجاع يبدو هكذا ذليلاً ويقلل من شأن نفسه أمام الآخرين؟».

في تلك الليلة رأى في المنام خدماً يحضرون له طبقاً مغطىً ويقولون له:

ـ كلْ؛ تفضلْ، كُلْهُ.

عندما فتح الغطاء وجد رأسَ الدرويش فيه، قال:

ـ مستحيل، لا يمكنني أكله.

ولكنَّهم أصرُّوا عليه، وقالوا:

ـ كما أكلتَ لحمه في الجامع تفضل الآن وكُلْه!

❁ ❁ ❁

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا

مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ .

الآداب

عندما كان سهل بن عبد الله التستري في مدينة البصرة كان يضمد أحدَ أصابعه بقماش. وإذا سأله مَن حولَه مستغرباً؛ كان يجيب أن إصبعه يؤلمه.

عندما ذهب أحد السائلين إلى مصر وبالتحديد لزيارة ذي النون، رآه أيضاً قد ضمَّدَ إصبعه بنفس الشكل، سأله عن السبب بدهشة!

فأجابه:

- يؤلمني إصبعي منذ زمن بعيد.

عندما سمع هذا الجواب فهم جيداً سبب ضماد التستري لإصبعه، كان مراعاةً واحتراماً لمعلمه.

بعد مدة من الزمن، كان متكئاً على الجدار مادّاً قدميه وسأل تلاميذه:

- يمكنكم أن تسألوني ما تريدون.

أصاب الجميعَ الدهشة! ماذا حصل لمعلمنا يا ترى؟! لم نره من قبل بهذه الحالة، لم يصبروا فسألوه:

ـ هل من خطْبٍ يا معلمنا؟ لم تكن تتصرف هكذا من قبل!

ـ يجب أن يتصرف الإنسان بأدبٍ واحترام مع روح معلمه.

في ذاك اليوم فهم التلاميذ أنَّ ذا النون قد توفي.

❁ ❁ ❁

احترامُ الكبير ومراعاةُ مشاعر الآخرين، كم نحن بحاجةٍ لمثل هذه الدروس في الآداب وكم أصبحنا بعيدين عنها!

كعادة عدم رفع قدمك، والجلوس باعتدال أمام الكبير، وأمام الأب، وأمام المعلم، وفي المكتبة... تلك العادات التي لازالت موجودةً في القرى والمدن الريفية.

خداع النفس

ذهب اثنان من الأصدقاء إلى بائع السمك وسألاه:

ـ كيف تميز السمكة الأنثى من الذكر؟!

ـ من بيوضها أستطيع التمييز.

ـ حسناً؛ وإذا لم يكنْ لديها بيوض؟!

ـ من حسكها.

ـ وإذا لم تنضج؟!!

ـ إذاً فلنْ أعرف!

ولكنهم استمروا في السؤال:

ـ وكيف لنا أنْ نعلم؟!

ـ طباخ القصر الذي في تلك الزاوية يعلم.

ذهبوا إلى الطباخ وسألوه:

ـ قال لنا بائع السمك أنك تعرف.

ـ ومن أين عرف ذلك؟

في الحقيقة هو أيضاً لم يعلم، ولكنه قال ما قد قاله.

❁ ❁ ❁

هذا الذي يخطئ في حقِّ الله وحقِّ العباد وهو يعلم ذلك، ويريد من الناس أنْ يفعلوا مثله، ويظنُّ نفسه قوياً مالكاً لحياتِهِ ومصيرِهِ، ويستطيع خداعَ الناس، والتَّسلِّي في مصيرِهِم بكلامه؛ للأسف سيكون واهماً خادعاً لنفسه.

أفضل مما كان متوقعاً

بلطفٍ من الله هداه بعد أنْ ضلَّ طريقه عن الحق وذهب طريقاً خاطئاً، أصبح يتردد إلى أحد الشيوخ وتغيَّر بالكامل، وتاب إلى الله.

لكنَّ بعض الناس الذين ينتقدون غيرَهم دوماً قالوا عنه:

ـ هو لم يتغير؛ نعرفُهُ جيداً، كلُّ ما يريده هو لفْتُ الانتباه لا أكثر!

مسكين هذا الرجل، لقد حزن كثيراً لِمَا قيل بحقه، إلى أن نفذ صبره فذهب إلى شيخه ليشكيه ما قد حصل.

تأثَّر الشيخ كثيراً وأخذ يبكي.. لم يفهم الرجل سببَ بكاءِ الشيخ، ولكن الشيخ قال:

ـ طوبى لك؛ إنَّك أفضل مما كان متوقعاً.

❁ ❁ ❁

أن تكون شخصاً جيداً ويظنَّك الناس أنَّك سيء، أفضلُ بكثيرٍ من أن يروكَ جيداً وأنت في الحقيقة لستَ كذلك.

السَكر

كان هناك عبدٌ لم يركب السفينة من قبل في حياته، وكانت رحلتَهُ الأولى بصحبة السلطان على متن سفينة، كان العبد يرجف من خوفه، ويصرخ من هلعه، مزعجاً كلَّ مَن حوله حتى السلطان، فجاء أحد الرجال إلى السلطان وقال له:

ـ دعني أنا أُهدِّئُه بطريقتي.

قال السلطان:

ـ افعل ما تريد، ولكن اجعلْه يسكت.

أمسك الرجل بالعبد ورماه في البحر بعد منازعةٍ طويلة.

أخذ العبد يصرخ في البحر:

ـ النجدة.. النجدة.

أمسكوا به وأنقذوه، ولكنَّه هذه المرة جلس في أحد زوايا السفينة دون أنْ يتفوَّه بأيِّ كلمة.

سأل السلطان الرجل:

ـ لماذا ألقيت بالعبد في البحر؟!

ـ لأنه لم يكن يفهم أنَّه في أمان وهو على متن السفينة؛ بعد أنْ سقط في البحر أدركَ قيمتها.

❁ ❁ ❁

الشكر يزيد النعمة، أما التَّذمُّر المستمر والشكوى فسيزيلها، ويجب أنْ يحمدَ العبدُ الله عند النظر إلى النعم المادية التي يملكها، أما المعنوية فإنَّه سيزيد من السعي لتطويرها، فالسعادة الحقيقية هنا.

الجار الثمل

كان للإمام الأعظم جارٌ ثمل، وكان يأتي كلَّ ليلةٍ إلى منزله وهو بحالة مزرية، ويزعج الإمام عزام بالضجيج الذي يصدره. لم يكن الإمام يتذمر وكان يحتمل جاره، ولكنْ في أحد الأيام اشتكى عليه أحدُ الجيران ورَمَوا بالجار الثمل في السجن.

في اليوم التالي تفاجأ أبو حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ عندما لم يسمعْ صوتَ الجار وقال:

ـ لماذا لا نسمع صوتَ جارنا الثمل؟!

ـ لقد رمَى به الملك في السجن.

ذهب في اليوم التالي إلى قصر الملك، كان الجميع يظنُّ أنَّه سيشكر الملك على فعلِهِ هذا، وعند وصوله إلى القصر انحنى له الملك احتراماً وقال له:

ـ تفضل يا شيخنا؛ ما سبب زيارتك المشرِّفة لنا؟

طلب من الملك الإفراج عن الرجل!

ـ ألهذا جئت؟! من أجل رجلٍ ليس له أيُّ أهمية! لو لم تُتْعبْ نفسك وأرسلتَ خبراً مع أحدهم كنتُ سألبِّي طلبك على الفور.

تم إطلاق سراح الرجل، وعندما قابل أبا حنيفة كان خجلاً منه جداً على الإزعاج الذي كان يتسبَّبُ به، فقال له أبو حنيفة مازحاً:

ـ أرأيت؟ لم أنْسَكَ!

بعد فترة قصيرة أعلن الرجل توبته وأصبح من تلاميذ الشيخ.

❁ ❁ ❁

إنهم لا يقومون باتِّهام أحد ولا يخدعون أحداً، هم فقط يساعدون المظلومين والمساكين ويقومون بدورهم الإنساني لا أكثر.

السعادة الدائمة

في أحد الأيام كان يجلس تلاميذ الشيخ معروف الكرخي على ضفة نهر دجلة، عندما مر قاربٌ فيه مجموعةٌ من الرجال يشربون الخمر، ويضحكون بشكل مجنون! حزن التلاميذ لرؤية هذا المشهد وطلبوا من الشيخ أنْ يدعو عليهم بالغرقِ حتى لا يكونوا فتنةً للمسلمين في المدينة؛ فقال الشيخ:

ـ اللهم أدم سعادتهم!

تفاجأ التلاميذ لدعاء الشيخ، ولكنه طلب منهم أن يتروَّوْا قليلاً.

عندما اقترب القارب بمحاذاة الضفة رأوا الشيخَ وخجلوا من فِعْلِهم هذا وقالوا:

ـ يا إلهي؛ لقد رآنا إمام بغداد!

بدؤوا برمي زجاجات الشراب في النهر، وبكسر آلاتهم الموسيقية، وقالوا للشيخ:

ـ نطلب منك السماحَ يا شيخنا، نعلن توبتنا، لن نكرِّرَ فِعْلَتَنَا هذه.

قال الشيخ لتلاميذه:

ـ أرأيتم؟! لم يغرقوا، ولن يكون فيهم أيُّ ضرر للمسلمين.

❁ ❁ ❁

لديهم دائماً طريقٌ للعفو والصفح، ويرجِّحون طريقَ الإصلاحِ في معاملتهم مع المذنبين، فإذا لم يتوبوا إلى الله فلنْ يجدوا السعادة الحقيقية، وإذا وجدوها في الدنيا فسيبكون كثيراً في الآخرة.

الرمان

اشتهى رجل دينٍ في أحد الدروس الرمان، فترك درس الدين ليأكله، وعندما اقترب من الباب سمع صوتاً يقول:

ـ الحمد لله.

التفتَ ليجد رجلاً فقيراً يرتدي ألبسةً ممزَّقة، وعلى وجهه الكَدَمَات، يجلس في أحد الزوايا متكئاً على الجدار، اقترب لجانبه وقال:

ـ صحيحٌ ما فعلت، يجب علينا شكر الله دوماً؛ ولكن ما الحكمة من قولك: «الحمد لله» عند خروجي؟!

ـ لا يوجد سبب!

ولكن الرجل أصرَّ على معرفة السبب.

فقال:

ـ صحيحٌ أنه ليس لدي ألبسةٌ لألبسها، وحالتي يرثى

لها، وألمي من الجروح التي عليَّ لا يكاد يهدأ، ولكنني الحمد لله لم أترك الله لأجلِ رمان!

❁ ❁ ❁

كم ظننَّا أنَّ هذه الدنيا باقية، وكم من المرات تركنا الله لأجل الرمانات، كالطفل الذي يفضل قِطَعَ الزجاج على التفاح.

العبودية

أعتق الشيخ إبراهيم عبداً، فسأله:

ـ ما اسمك؟

ـ سميني كما تحبُّ.

ـ ماذا تريد أنْ تأكل؟

ـ آكل ما تعطيني إياه.

ـ ماذا تعمل؟

ـ سأعمل أيَّ عملٍ تأمرني به.

ـ حسناً؛ ماذا تتمنى؟

ـ وهل يكون للعبد أمنيةٌ، أمنيات سيدي هي أمنياتي!

بكى الشيخ عند سماع قول العبدِ هذا، ثم قال لنفسه:

ـ آه.. يمكن تعلم العبودية من هذا العبد، يا ترى هل كنَّا عبّاداً جيدين أمام الله ﷻ؟!

❁ ❁ ❁

كل ما يريدونه من هذه الحياة تلبية أوامرِ الله ﷻ، حتى إذا سئلتَ في يومٍ من الأيام:

ـ أنتَ عبدُ مَن؟

ستجيبُ:

ـ إنني عبد الله.

كم نحن جميعاً بحاجةٍ إلى تذكُّر كيف تكون العبودية الحقيقية!

في عشرين ثانية

كان الشيطان يتردد على الشيخ الجنيد البغدادي على هيئة خادمٍ لمدة عشرين سنة متواصلة، ورغم محاولاته العديدة لإيقاعه لم يوفق في أيٍّ منها، وفي أحد جدالاتهم قال الشيطان:

ـ هل تعلم من أكون حقاً؟

ـ نعم، إنك إبليس اللعين؛ أعرفك من اللحظة الأولى التي جئت فيها.

ـ لقد جئت إليك أنت بالذات دون الكلِّ لأنني أعرف مرتبتك العالية ومكانتك، ولكنني حاولت مراراً أن أجعلك تنصاع لأوامري، ولكني لم أوفق في أي محاولة من محاولاتي طوال العشرين سنة.

ـ اغربْ عن وجهي أيُّها الشيطان اللعين! أتحاول

إيقاعي في حفرة الغرور؟ وهل تظن أنك في عشرين ثانية ستستطيع فعل ما لم تستطع فعله في عشرين سنة؟!

❁ ❁ ❁

الغرور يدخل على الإنسان من كلمة: «أنا»، حتى من يتباهى بكونه من فضلاء الناس ومن الشيوخ هم في الحقيقة أكبر ضرراً على الإسلام، فالغرور أصبحَ مرضاً من أمراض عصرنا للأسف.

أليس لي مكان عندكَ؟!

أرسلَ ملكٌ ظالم يوماً رجالاً للقبض على الحسن البصري، فاختبأ في كوخ الشيخ حبيب العجمي.

جاء رجال الملك وسألوا الشيخ:

ـ هل رأيت الحسن البصري؟

ـ نعم؛ لقد رأيته!

ـ أين؟

ـ هنا في هذا الكوخ.

تفرق الرجال داخل الكوخ وأخذوا يبحثون عن الحسن البصري، ولكنَّهم لم يجدوه، فخرجوا بغضب شديد، وتوجهوا للشيخ:

ـ لماذا كذبتَ علينا؟ ليس له أثرٌ في الكوخ!

ـ أنا لم أكذبْ! إذا لم تتمكنوا من رؤيته فهذا ليس ذنبي.

عادوا للبحث، ولكنْ دون جدوى..

بعد ذلك خرج الحسن البصري وقال للشيخ الحبيب:

ـ لم يستطيعوا إيجادي لأنَّ الله ساعدني لمكانتك لديه، ولكن لماذا أخبرتهم عن مكاني، أليس لي مكانةٌ عندك؟!

قال الشيخ الحبيب:

ـ لم يقف الله معك لهذا السبب، بل لأنني لم أكذب، وقلت الصدق، لأني أعلم أن الله يقف مع الصادق، فإن كذبتُ كانوا لربما سيأخذوننا للسجن كلانا.

❁ ❁ ❁

بقول الصدق تستطيع تخليصَ نفسكَ من المصيبة التي تقع فيها مهما كانت كبيرة.

تربية الطفل

كان للشيخ سهل طفلٌ عندما كان يريد شيئاً كانت تقول له والدته: «اطلب من الله». كان يصلي ويدعو الله في سجوده، وعندما يسجد كانت أمه تحضر له طلبه وتضعه بجانبه بهدوء. واستمر على هذه الحالة تحضر له كل ما يريده بجانبه دون أن يشعر.

في أحد الأيام لم تكن أمه في المنزل، أراد شيئاً مثل كلِّ مرة، ذهب ليسجد ويطلب من الله، عندما عادت الأم إلى المنزل وجدت في يد طفلها شيئاً، سألته:

ـ من أين أخذت هذا؟

قال الطفل بكل براءة:

ـ من نفس المكان أمي.

❁ ❁ ❁

الإيمان فطرةٌ للطفل النقية البعيدة عن كل ملوثات

الحياة، وأفضل درس يمكن أن يستفيد منه لطول العمر هو تعليمه كيف يُبقي قلبَه بهذا النقاء والصفاء، الأم والأب في البداية هما من يؤسسانه التأسيسَ الصحيح، وبعد ذلك تأتي مرحلة إثبات نفسه.

عناد أحول

أرسلَ معلمٌ شخصاً أحولَ إلى منزله وقال له:

ـ اذهب وأحضرْ لي الزجاجة التي على الرف.

ـ ذهب الأحول ووجد الرف الذي وصفه المعلم، ولكن وجد عليه زجاجتين، عاد الأحول دون أن يحضر شيئاً، وقال:

ـ معلمي! لقد وجدت زجاجتين على الرف أيّاً منهما أحضر؟

ـ لا يوجد على الرف غيرُ زجاجة واحدة، اذهب وأحضرها.

ـ لطفاً؛ لا ترسلني مرة أخرى عبثاً، قل لي بوضوح: أيَّ الزجاجتين أُحضِرُ وسأفعل.

ـ قلْ ما تريد، ولكني لن أصدقَ كلامك حتى أرى

الدليل بعيني، وإذا كنت تقول أن هناك زجاجتين فاكسر واحدةً وأحضر الأخرى.

ذهب الأحول ورمى واحدة منها على الأرض فانكسرت، ولكن الثانية اختفت فجأة.

❁ ❁ ❁

إنكار الناسِ لبعضِ الأمور لا تدل على جهلهم فقط، بل أحياناً تدل على العناد، فالإنسان بعناده وشهوته وانحيازه يصبح أحول لا يستطيع رؤية الحقيقة أمامه.

العمى عمى البصيرة
وليس البصر

كم هي متشابهةٌ الأحصنة بنيَّةُ اللون! لا أستطيع التمييز فيما بينها.

أجابه صديقه:

ـ قِسْ طولها.

قاس طولها، ولكنَّ الطول كان نفسه.

ـ قس ذيلها إذاً.

قاس ذيلها أيضاً. كان نفسه عند جميع الأحصنة.

قال له رجل عجوز:

ـ انظر بدقة أكثر؛ هناك فرق بينها.

ذهب الرجل وأخذ ينظر إليها مطولاً ثم عاد، وقال:

ـ لقد كان الرجل العجوز محقاً، هناك فرق، فالحصان الأبيض ملمسه أنعم من الحصان الأسود.

❁ ❁ ❁

العناد والجهل يجعل الإنسان أعمى لا يرى من حوله، حتى لو رأى بعينيه فعقله لا يرى، رغم ما تخرجه الحياة في طريقه من معانٍ ليستدل عليه، فهو لا يزال لا يستطيع التمييز بين الجيد والسيئ، ولا يستطيع تجاوزَ الجهل والقيود التي أحاطت به.

فالتحدث مع الناس بحسب عقلهم وتفكيرهم، وكما يقول الشاعر:

الورود بمختلف ألوانها وأشكالها ماذا

عساها تخبر الأعمى الذي لا يراها

المحاسبة عن الحبل

كان هناك شخصٌ غنيٌّ على فراش الموت، ويخاف من الوحدة في القبر، وقبل أن يموت قال:

ـ من سيقضي معي أول ليلةٍ في القبر أعطيه نصفَ ثروتي.

لم يقبلْ أحد. وحلَّ الصمت في الأجواء، إلى أنْ خرج حمَّالٌ، وقال:

ـ لا أملك سوى حبلي، ليس لي شيءٌ آخر أخسره، إذا استطعت التحمُّلَ للصباح سأصبح غنياً.

دفن بعد ذلك بالقبر مع الشخص الغني، وجاء الملكان للسؤال، نظر ووجد شخصاً ميتاً وآخر حياً في القبر.

بدأا بسؤال الحمال:

ـ هذا الحبل لمن؟ ومن أين أخذته؟ ولماذا أخذته؟ وكيف أخذته؟ وبماذا تستخدمه؟..

هكذا استمرت الأسئلة إلى أنْ حلَّ الصباح، خرج من القبر رغم أن أسئلته لم تنتهِ، بعدها جاؤوا إليه ليعطُوه نصف الثروة.

ـ تفضل هذه نصفُ الثروة لك.

قال الحمَّال:

ـ لا شكراً؛ فلتبقَ لكم، لا أريدها بعد الآن، فكل ما أملكه هو هذا الحبل. وقد سُئلت كلَّ تلك الأسئلة عنه، فإذا متُّ حقاً كيف سأحاسب عن كلِّ هذه الثروة؟

❁ ❁ ❁

لا تتجاهلْ وتستخفَّ بما ستُسأل عنه يوم القيامة عن حياتك وعن كلِّ ما فيها مهما كان صغيراً.

خفت كثيراً

كان الرسول ﷺ يشرح قصةً حصلت منذ زمن بعيد:

ـ كان هناك رجل على فراش الموت يخاف من الامتثال أمام الله ﷻ، نادى على ابنه ليخبره شيئاً، قال:

ـ يا ولدي؛ لا أريد المثولَ أمام الله وأنا بحالي هذه، عندما أموت أرجوك احرقْ جثتي وانثرها يميناً ويساراً، وعندما أمتثل أمام الله ﷻ سأعرف ما سأقوله.

بعد مدة من الزمن توفي الرجل ونفذ ولده الوصية، كما طلب والده منه بالضبط، وعندما جاء يومَ الحشر امتثل أمام الله ﷻ.

قال له الله بما معناه:

ـ يا عبدي؛ ما الذي جعلك تفعل بنفسك هذا؟

قال الرجل:

ـ إنه خوفي منك يا ربي هو الذي جعلني أفعل ذلك!

ـ لا تخفْ يا عبدي فلن أعذِّبَك لخوفك مني.

❁ ❁ ❁

يجب أن تكون مشاعر المؤمن بالله بين الخوف والأمل، فلا يخاف من عذاب الله فقط لأنه عاجزٌ عن فعل أي شيء ولأنه صغير أمام الله ﷻ، بل يجب أن تكون مشاعر الخوف لديه مع الرجاء والأمل.

فقلب الإنسان الذي لا يكترث لشيء ولا يخاف من شيء هو كالعذاب والعقاب بالنسبة له.

جدل بسيط

جاء رجلٌ إلى شيخ وقال له بحدَّة:

ـ . . . ولكن أنت كنت قد قلت لي كذا، وأنا أجبتك بكذا.

تضايق الشيخ منه كثيراً وقال له:

ـ لا تُتعبْ نفسك بالجدال والعراك معي، فكِّر في الآخرة كيف ستقف أمام الله وتجيبه.

❁ ❁ ❁

عندما يتجادل الإنسان مع آخر مثله وهو يكون مخطئاً فيما يجادل به ويصر على رأيه، فحتى ولو غلب الشخصَ الذي لا حول له ولا قوة وتركه بعد ذلك حزيناً متألماً بعد هذا الإصرار الخاطئ، فهذا ليس بالانتصار ولا يدل على عظم وقوة شخصيته، بل إنما يدل على عجزه وضعفه.

التفكير بعقلانية

في أحد لقاءات وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر (1990) في واشنطن وبالتحديد في البيت الأبيض، كان يتكلم عن أن المظاهر لا تعنيه، وكيف أنه لا يكترث بكل تلك الصحافة والمؤسسات التي تنتظره على باب القصر وكيف تؤثر به. ولكنه يعي جيداً المكانة التي هو فيها، ذكر خلال حديثه:

«إلى كل الذين لم يجيبوا على مكالماتي قبل أن آتي إلى هنا أعلم جيداً أنَّ بعد أن تنتهي مهمتي سيتعاملون بنفس الشكل، لذلك أنا جاهز لكل ذلك، فيجب أن نكون مسؤولين عما نؤمن به».

الشخصيات الإدارية في المجتمع إذا فكروا بعقلانية قليلاً تجاه مناصبهم فلن يرتكبوا أخطاء لا بحقهم ولا بحق الشعوب التي يترأسوها، يجب أنْ يعُوا أيضاً أنَّ عهدهم

مؤقت، ولكن القرارات التي يخرجون بها أثرها مستمر. للأسف القليل جداً من الإداريين الذين يشعرون حقاً بمسؤوليةٍ تجاه تفكيرهم وقراراتهم.

المراجع

1 ـ ابن المعلم نجاة. الخطابة بكل أساليبها.

2 ـ بديع الزمان سعيد النورسي. تأريخ الحياة، اللمعات، المناظرة. دار آسيا الجديد للنشر.

3 ـ محمد زرين. كل الحكايات في المثنوي. مطبوعات هازين.

4 ـ أحمد أفلاكي. تقاليد الإسلام والشرق، مناقب المعرفة المجلد 1 ـ 2. دار نشر MEB.

5 ـ عرفان أتاغون. أسياد القلب المجلد 1 ـ 2. مطبوعات المعرفة.

6 ـ الأجوبة الجاهزة. مطبوعات ظافر.

7 ـ نجيب فاضل، إبراهيم إيثام. الشرق الكبير.

8 ـ ألباي كاباجالي. انتقاء الأفكار. مطبوعات الحرية التبرعي.

9 ـ إبراهيم رفيق. الطريق إلى تاريخ الوعي. دار نشر T.Ö.V.

10 ـ إبراهيم رفيق. النَفَس المذهل. دار نشر T.Ö.V.

11 ـ نجيب فاضل. سيناريو رواياتي. مطبوعات الشرق الكبير.

12 ـ نجيب فاضل. حجر الصبر. مطبوعات الشرق الكبير.

13 ـ مواعظ فتح الله غولان.

14 ـ جنكيز إيتماتوف. يطول اليوم ويحل العصر. أوتوكان.

15 ـ مساعد الدكتور أحمد لطفي. تاريخ الرسل المجلد الأول. مطبوعات النيل.

16 ـ محمد يوسف كاندهيلفي. حياة الصحابة المجلد3.

17 ـ الشيخ سعدي الشيرازي. جوليستان. تيماش.

18 ـ فايق رشاد. كليات ليطايف. مطبوعات المكتبة.

19 ـ يافوز بولانت باكيلار. مقابلة تلفزيونية.

20 ـ إلهان باردكشه. من الماضي إلى اليوم. صحيفة الزمان.

المحتوى

المقدمة 5

الحبيب بابا 9

معنى الله 12

الإيمان ولو لمرة واحدة 15

الأضعف 16

حجر الصبر 19

هدية النبي يوسف عليه السلام ٢٣

معرفة مكانه 25

أنت صنعت سقوطك 26

الطفل الضائع 31

معرفة من أين أتَتْ 33

رسولنا الكريم ﷺ ٣٨

لقد استحييتُ 40

علامات النبوة 42

خالد بن الوليد 45
عمرو بن العاص 47
احترام الرسول عليه الصلاة والسلام 49
رسولنا أمامنا 52
من الكبير؟ 55
ماذا أردتَ مني؟! 57
أشياء كثيرة 59
الفاتح الحقيقي 61
الأغنام المباركة 62
لغة التفاهم 66
ليس أنا . . وليس أنت 68
الشمس والريح 70
زين العابدين 73
على اسم صاحبي 75
التدخل بين الناس 77
السيف اللامع 79
عودة الذين هاجروا من بعيد 81
المخاوفُ نفسُها 84

الصداقة مع الثعبان 87
أين أضعته؟ 89
الطلاب 91
خصوصية كوتبو 93
البطيخ مصاص الدماء 96
من المسؤول 99
ماذا سيقول اللَّه لي؟ 101
الحمد للَّه.. إنَّه ابني 103
الخفاش ليس له وجه 105
أنا قلقٌ على مصيركم 107
ولكن إذا وقعتَ أنت... 109
ينظرون إليكم 110
صيامٌ كهذا 112
واحدٌ بعشرٍ 116
لوجه اللَّه 119
إلى الذي يعطي أكثر 120
ليست المغرفة هي التي تعطي 122
الاعتياد على التضحية 123

أمل الفقير 126
المكان الذي سنذهب إليه 129
مع المدين 131
سيدنا نوح موجودٌ أيضاً..! 133
القبطان ديريا 136
لا تتجاوز الرسم 138
عندما رمى الرماد 139
السلطان الحقيقي 141
أنا مجرَّد خادمٍ لكم 142
يالهذا البخل! 144
القصر 146
الضحكة المبكية 148
لو يعلم 150
اختبار الصداقة 152
الدنيا مثل البعير 154
بسبب الشيخوخة..! 156
تحدي القناعة 158
رحلة 162

إبراهيم العثم والإبرة 163
في عزاء طفل 165
الهروب من القدر 168
ليقُل القدرُ كلمَته 170
ستحلُّ به المصيبة 171
القبطان والنحوي 176
الحكم على السلطان 178
أن تكون عارفاً 180
اللياقة والجدية 181
إذا أردْتَ النجاة 183
عيبٌ في التربة 186
أن تكون من الأفضلية 188
الذنب 190
وسيلة نقل 192
الوجه الأسود 193
عشقُ الصَّلاة 195
فك القيود 197
لا تقطع صلاتك 199

الأسد 201
العمل 202
العِقَاب 205
لقد كتب مصيره بنفسه 208
أعطيت روحي 209
الأمة الأصيلة 210
في نظر الآخرين 212
مكان الحراسة 214
خدمة الحرمين 217
الأمهات الأناضوليات 222
شربةُ ماءٍ 224
لحم وعظم 226
شقيق فاتح 228
الببغاء 230
الصداقة 233
أين مكاني؟ 235
فمٌ بلا ذنوب 238
عزُّ الطاعة 240

قلبي وقلبك 243
عسلٌ مزيَّف 246
هل هو الخوف من الموت؟! 248
الجاني الذي في القارب 250
أعضاء الجسم 252
عِبرة! 254
البركة 257
مَن المسنُّ؟ 259
قيمة النار 261
لولا عطاء اللَّه 263
ألم يشبع فمك؟ 265
ليتكَ كنتَ نائماً 267
الغيبة 268
الآداب 270
خداع النفس 272
أفضل مما كان متوقعاً 274
الشكر 276
الجار الثمل 278

السعادة الدائمة 280
الرمان 282
العبودية 284
في عشرين ثانية 286
أليس لي مكان عندكَ؟! 288
تربية الطفل 290
عناد أحول 292
العمى عمى البصيرة وليس البصر 294
المحاسبة عن الحبل 296
خفت كثيراً 298
جدل بسيط 300
التفكير بعقلانية 301
المراجع 303
المحتوى 305